خناثة بنونة



نشر وطبع
دار النشر المغربية
الدار البيضاء

خناثة بنونة

الصورة والصوت

قصص

جميع حقوق الطبع محفوظة
لدار النشــــر المغربيـــة 1975
© Les Editions Maghrébines 1975

الورق المقوى

الادغال والاسوار وروعة الذكرى ووحشة العنف وكل ذلك ما يسمى ؟ .. ان تلك الحدود أقصدها ، وفى الطريق سيزكينى كل ما تقدم ، حيث أقذف بصيدى فى فمه : وحش الادغال وسيدها .

ويسير ....

ــ ايه .. يا أنت من أنت ؟

ــ أنت أنا ، وأنا بلا أنت ، وأنت غائب عن أنا .

ــ ماذا تقول ؟ !

ــ ماذا تقصد ؟

ــ انه غير نحن

ــ من هو ؟

ــ من تبحث عنه

ــ أعرفت قصدى ؟ !

ــ لقد كان قصدى قبل قصدك •• فهو نفس الوهم ، غذتــه الاشاعات فى حياتى مدة ، قبل ان يفسد علاقتى بالمستقبل •

باستنكـــار :

ــ ولكن لماذا تقول ذلك عنـــه ؟ !

ــ لانه غيـــر مـــن هـــو !

ــ نــعــم

ــ ولكنه الاسد فى دنيا الاقزام : سند الرحلـــة وأمـــل الغـــد

ــ ألم أقل لك : لقد كان لى مثل هذا الوهم، ولكنها التجربة •••

ــ التجـــربـــة !

ــ نعم ، التجربة •• فلقد صححت الدلالات ، وأعادت الشارات لاصحابها ، وأعلنت غير ما كان يقول •

ــ انك تحيرنى •• أليس هو الذى أعلن عن نفسه بذلك ؟

ــ انمـــا أجهـــزتـــه •

ــ أليـــس فمـــه ؟

ــ بـــل ذنبـــه •

اغتم وجهه • وكادت أن تغيض منه فرحة اللقاء بالطريق ، حيث كان قد قرر أن يعانق به المستقبل • ومع ذلك لم يرد ان يستسلم

لـــه ويفقـــد الاخـــر :

ــ وهل تستطيع أن تنكر ماضيه القريب ؟

ــ التاريخ مادة محنطة تلتحق قسرا بمن مضوا ، انما خبرنى عـــن الان •

فمنعه من المواصلة وأتم له : لقد فتح فمه أكثر •

ــ ولكنـــه يخيـــف •

ــ فاستهـــزأ :

ــ من ! •• الست مع عصرك ؟ •• ألم تسمع : فلقد انهـــار الـــورق المقـــوى •

ــ كـيـــف ؟

ــ ابتل بريق هرجه وافتضح •• وكل العالم قد عرف •

ــ لا ، لا •• ان الامس غير بعيد •• حيث العالم نفسه قـــد عرف من هو : أسد الدغل وكاسح الدخيـــل •

ــ الامس أمس أهله كما قلت لك •• انما اعطنى الان وجهك •

ــ وجهه لا زال له •

فاهتاج وهو يـــرد عليه :

ــ انك تتكلم كانسان ما قبل يونيه •• فالى متى وأنتم ترفضون

موت أسود الورق المقوى •• ان نفوس أمثالك لم تقتتل الاحداث فيها زوائد الاوهام ، والرغبة السلبية فى التعلق بالسند والاتكال ، فالى متـــى الـــى متـــى ؟؟ •••

وتأثر الاول بالصيحة ، ولكنه أضاف بهدوء •

ـــ ولكنـــه أخـــى •

ـــ أخوك لا أخ الطريق • ألم تسمع : (دخلت ورفاق لى حدود العدو المشترك ، وأتيته بصيد هام ، وكنت أريد أن يكـــون فـــى مستوى الوهم الذى غذى به مرحلة من عمر اللحظة ، وأن أشهـــده يستخرج تلك الاظافر والاضراس ، فيسهم فعلا فى قهر جانب من جوانب الطاغوت ، واكنه فزع أمام زعيق الظلم فى العالم واندحر) •

ـــ هـــو فعـــل !

ـــ لا يهمنى • المهم أنت •• نفسك بالاخص ، ألم تقتنع بعد بحتمية الاعتماد على النفس •

وكانت المسافات ما تزال تستهلك تحت الارجل •• وحيرة ما تلعب بينهما • وبغتة سألـــه :

ـــ وأيـــن نحـــن الآن ؟

ـــ أنت دائما حيثما تريد أن تكون •

وفهم قصده • وكان باذنه صدى ، فاستفسر :

ــ أتسمع ؟ •• اننى أسمع شيئا •

فأجــابــه :

ــ هؤلاء يقيمــون الذكــرى :

ــ ذكــرى مــاذا ؟

ــ ينصبون الابنية التى ضاعت ، لينقذوها بعبارات مستهلكة، كبقية العاجزين حينما لا يبقى لهم من أحداث الماضى الزاهر غيــر الاسم • ولكن حتى الاسم نفسه ، يموت تحت وابل من الاثــارة والعواطف البلهاء ، فى عهد يصحح الاخطاء ويعطى لمفهوم الانتساب الى تلك الاشياء والاحداث مضمونا عمليا تحققه السواعد والنضال•

فــرد عليــه كأنه فى غيبوبــة :

ــ كــل يبكى كما يحلــو لــه •

فتحركت يــد الاخــر بــرفض :

ــ مجموعات البكائين ! •

فالتفت اليه ، كأنه عاد ، وسأل •

ــ مــن هــم ؟

ــ كــــل ورق مقــوى •

وكان بداخل الاول شىء من تواصل • لهذا قال :

ـ انك تعمم ، فلماذا تعطى هذا الاسم لكل المسميات ؟

ـ لست أنا الذى فعل ، ولكنها أعمالهم •

ـ وأضـاف :

ـ وستغرقهم أعمالهم هاته ، لتنتقم الحقيقة من ظالميهـا •

وسيطر الصمت مدة• وكانت أقدام السائل فى أقدام المسؤول ، والمسافات تحتها تموت • والاول قد سأل ، وقد ازداد الصـدى بأذنيـه :

ـ اذن ، نحن قرب العرين ؟

فاستهـزأ :

ـ العرين ! لكأنك بهذا الاصرار ، لست غير ضحية من ملايين الضحايا التى زرعتها كيانات الورق المقوى فى عالمنا ، حيث إفسدت بصرهم وبصيرتهم لئلا يروا غير ما يريدون لهم أن يروا •

فالتفـت :

ـ وهل تريد منى أن أقطع صلتى بأهلى ؟

ـ الورق المقوى شىء ، وأهلك شىء آخر •• القاعدة ، فهـم مثلك ، عليهم أن يملكوا أشياءهم باستقلال تام ، لان ينتسبوا لجيل المخـاض •

وبعد تفكير مستغرق سأل من جديد :

ـ ولكنك لـم تقـل من أنـت ؟

ـ أنا من يجب أن يكون لكل واحد • وحينما يتم ذلك ، تصبح أنت أنا ، وأنا هو الآخر ، وكل أنت وأنا والاخر هو نحن •

ـ وكيف سيتم ذلك ؟

ـ سيتم باليدين والرجلين والفكر والاصرار •

وكانا قد ابتعدا عن المكان الذى يقيم الذكريات فحسب، وعن مقر عرين الماضى ، وهما يتقدمان •

ـ ومن يحمـى ظهـرى ؟

ـ أنت • أنت بدءا ونهاية • فحماية الظهر ماذا أعطت مـع جدران الورق المقوى •• ان الاحداث قريبة منك •

وأصبحا قريبين من منطقة أخرى ، لهذا سأله :

ـ حتـى هـؤلاء • ؟

فـرد عليـه •

ـ لقد جربنا كل نموذج وكل شعار •• والنتيجة : أنهم نتفوا ذقـونـنـا •

ثم أضاف : ليس هناك من كيان حقيقى ما دمت أنت وأنـا وأمثالنا بعيدين عن المواجهة الحقيقية : داخليا وخارجيا •

ـ ولكننا الآن ، على الاقل فى هاته القضية ، لسنا كما تقدم •• ان الهزة من العنف بحيث قذفت بنا الى المقدمة •

ـ ذلك لا يكفى • ثم ، وكما أقول لك ، يجب أن نكون فى هاته المقدمة بغير الشخصية التى صنعت لنا من قبل ، لئلا نعود بمثل ما عادوا هـم بـه •

ثـم أوضـح أكثـر :

ـ لان توضع أسلحة معطلة الى حد مـا فى المقدمـة أو الا توضع : نفس الشىء • لذا علينا أن نكون منطلقين بنوع جديـد للبدء •• مفصول بالتمام عن كل ما قبل يونيه •• حيث لنا اليقين والاصرار والبصيرة والاستقلال ، لنكون قد شرعنا حقا فى مرحلة المخاض من أجل الوجه المنتظـر •

وكان قد عاد للاستغراق فى تفكير أخذ يتضح قبل أن يقول :

ـ انهـا معركـة جـديـدة •

فأكمـل لـه :

ـ بل هى المعركة الاولى قبل الانضمام الى صفوف البادئين•

ولم يترك له فرصة ليضيف شيئا ، بل حملق فيه بمعنى ، ثم تحرك حركة من نوع آخر ، وقال :

ـ لقد تكلمنا أكثر • اننى على موعد وراء الحدود •• سنلتقى داخلها •• ثم ارتحـل ••••

ولا زال الاول يسير •• يسير •• لكن بمعنى لا بوهم هاتـه المـرة ••••

الليل والنهار

شمس ذلك اليوم توقظ جحيم بعض الاجساد فى المسبـــح •
وقعره ذو الزرقة المغرية يحرك بعض التشنجات العضلية • وطلاء
السمرة يتساوى فيه جسم المرأة والرجل • وتلك الحركـــة أكانت
تكفى لتحل محل الاطمئنان ؟ • اشرأب بعنقه نحو تمددات ناضجة
ثم حط بصره على أقربها : (لو أنها تسايرنى فتكسبنى ؟ !) ثم اكتسى
وجهه بغيض سارع الى اخفائه • الغيظ فى الوجهين معا : وجههـــا
ووجهه ولكن مع اختلاف • وتململ جسدها بـــلا افتعـــال وغيرت
وضعه حيث أسندت رأسها على مرفقيها وظلت فى البعيد • الاستفهام
يغزوها ويستر المشهد والمسبح والاجساد وتمنياته • هم هنالك
ونحن هنا وأين القضية ؟؟؟ • كان صوت عيسى من سنوات ما زال
يهدر : (ان عواطفكم هاته ولو أنها من أقصى المغرب لا تكفى)
أما محمود ، فهو يقول لها بجلسته : لماذا لا أجد لديك أية متعة ، فهل
تخصصت فى انتاج الملل ؟ ! • وكانت تجيبه بنظراتها : لامـــثالك
فحسب • وكان السلك لا يزال يمتد •• يتطاول من أقصى الشرق ••

من بيت صفافة وقد اكتسح أقطارا وعوالم وكثيرا من الحـــدود • وكانت السنوات التى مرت لا تزداد الا توضيحا للبلبلة • وصوت عيسى منطلق من ذلك الآن والى هذا الان : من بيت لحم الى خنيفرة فعمان ويثرب والبيضاء ووجدة وفاس : (الاحتياج واحد والفعـــل هو ما ترينه وهل يمكنك تجاوز نظرياتك الى التطبيق ؟) •

رمى على ظهرها منديل البحر بشدة أعادتها الى هاته الحدود • كان لا ينظر اليها • لان النظر يوقفه على فجيعة خاصـــة : الرقص والكأس والليالى الساهرة • وكان يتحسر : لماذا لا تكون له كتلك الانثى : «سناء» التى تستطيع أن تتميز بغنجها وأناقتها وسيطرتها على القلوب فى عالم الليل • وبسبب تلك الخصاصة كان يهزأ حينما يؤلمه الفرق : (لقد أضعت المفاتيح قبل أن تملكيها) • وكان صمتها لا يزيده الا نكدا • وكانت هى قد حاولت أن تتحـــرك فى دائرتـــه للتجربة ، أن ترى هاته العجائب التى يملكها عالمه ، لان تعذره على الاقل • ولكن الموت كان يسكنه • يسكن المـــراقص والتحركـــات اللامنتجة والعرق المهدور وكل تلك الاعمار الشابة التى تخدم الواقع العفن بهذا الغياب • ومن ثم كفكفت دمعا سلبيا ورحلت الى البعيد القريب حيث الصوت والاسلاك والتحدى والاستفهام •

وطلع رأسه من سطح الماء وأخذ يدعوها اليه• شىء ما كان قد تجمد • وأعاد النداء ولكنه كان لا يصل • بعد المسافة أو قربهـــا أحيانا لا يؤثر • توقف عند حاجز المسبح وصاح : هل أدعوك حتى الى السباحة ! السباحة حركة والحركة تجاوز والتجـــاوز تحقيـــق

والتحقيق الذي يهمنى أين هو ؟ اغتاظ منها ومن نفسه وضرب صفحة الماء بعصبية ومع ذلك كان التجمد يتمدد • ومن ذلك التجمد الذى كان فى السابق أيضا دون أن تلحظه ، تذكرت حكاياه بكل مفارقاتها ، حينما كان من قبل يريد أن يتشاركا عالميهما • (حكى محمود : قلت لها، لبديعة : كيف نقترن ! •• ان أى شىء لا يوحد بيننا • سأغدر بك لو لم أعطك صدقى ، وصدقى لا أستطيع أن أعطيه لامرأة تعطينى الابناء فحسب ، اننى رجل بغير اعتياد ، وكذلك أطلب امرأة لا تملك شهادة وكفى • تألمت لانها تحبنى ، لكن كان ذلك أفضل لئلا أغدر بها أو أكون مزدوجا • فهل توافقيننى على ذلك ؟ •)

الزواج عهر فى جل المجتمعات والوثيقة العدليــة أوهى مــن العنكبوت • والرجل العربى لا زال ممزقا بين يومه وأمسه • ونتاج التجربة هو الحكم • تطلعت اليه بعد أن كان نظرها يقفــز مــع السيارات العابرة فى واجهة المقهى وحاولت ألا تجيب •

ــ مالك لا تتكلميــن ؟

القطيع عادة هو الذى يبرر ذنبه قبل الاعتراف وبعده ، لكن الحقيقة أين هى ؟ : فى التجربة الطويلة التى تتحول تمتعا ثم مللا ثم اعتذارا فتبريرا ؟ فى البراءة الساذجة التى تتحول عاطفة لدى الانثى التى فتحت عينيها على النور مؤخرا ؟ فى التطلبات الضرورية لعلاقة غير عادية تحتم مستوى للتفاهم والعناق والرحلة فى الابعد ؟ • وحركت كأسها من قعره ونظرت الى السائل فيه وهو غير مستقــر ثم صبته فى جرعة كبيرة •

مد يده ولامس أصابعها التى عادت بالكأس واستفسر :

ــ لو كنت مكانى ماذا كنت تفعلين ؟

وبدون أى رضى أجابت :

ــ لتكلمت من الاول •

ــ وكيــف ؟

ــ بلا اعتيادتك هاته التى تقول عنها ، وبالدور الذى ترهــن مستقبلك له ، ستصل الى النتائج من البدء ، وبذلك تخضــع تلــك العلاقة للتشريح ، فتعرف نفسك فيها قبل أن يتقيد الطرف الآخــر بعواطفه نحوك •

ــ أتدينننــى اذن ؟

ــ ومتى نصبت نفسى قاضيا ؟

ابتسم قليلا وكان بذلك الجزء من البسمة يريد من يدان معه أيضا • وكانت هى فى مواجهته تعبر أزقة ومدنا وسواحل وحدودا فى بحث أرعن • وبسبب ذلك البحث لم يكن الحضور تاما : وسأل :

ــ هل تستطيعين أن تنكرى أنك كنت ستتصرفين مثلى لــو كنت مكانى ؟ ! •

قد تكون هى أكثر توحشا واغترابا منه • فالعناصر المضادة قد تجمعت فيها بسعر • والشوق الى الآتى كان يطغى على الانسان

فيها • وتحقيق ما لم يحقق كان يشدها فى الواقع والوهم الى رحلة غير مبررة • ومن ثم كانت توضح مسيرتها لا بحثا عن الغفران ، ولكن للاسراع وراء الانا الحقيقيـــة •

وألـــــح :

ـــ لا شك أن حياتك غير خالية من تجربة مماثلة ؟

فأفصحت :

ـــ فى شكل يتوفر على عناصر أكثر • فالطرف الاخر كان يملك مواهب كنت ولا أزال أحلم بها •

ـــ ولمـــاذا اذن ؟ !

ـــ لقد كنت فى رهان خاص وجاد مع نفسى • فاما أن أصل أو أنهزم • وكنت قد أنزلت نفسى من الرف الذى وضعتنى فيه ظروفى ، أكافح لاحقق بتضحياتى وجهادى من سأكون عليه • وكان هو ، يلوح بخواصه وعواطفه وندرته فى الطريق . لقد كان يهددنى • ولذلك أفهمته منذ البدء ، أن كل ما يمنحه لى يعتبر ضدى ، فهو يريـــد أن أبيعه تجربة صراعى بما يملكه ، ولكنى كنت أصـــر على خـــوض تجربة النصر أو الهزيمة لوحدى ، لاحقق انتسابانى ومن سأكـــون عليـــه •

—

جفف جسمه وقصد المشرب • لم يدعها اليه • وكانت تعرف من حركته ما يردده مع نفسه بغضب : لا تشرب لا ترقص لا تسهر :

أية بلية هاته. وضحكت. أحيانا تضحك مما لا تضحك منه الاكثرية. قال عيسى وهو يتجول بها فى الاماكن التى كانت موقعا لبطولاتـــه فى عام 67 : (هاته الحيوية الزائدة يجب أن توجه) .

فأخبـــرتـــه :

ـــ فى الجزء ، الآخر من وطنك لاحظ أخ لك : مالك تحملين كل هاته الهموم ؟ . فأوضحت له : انها هموم المترفين مـــا دامت لـــم تتحول الـــى فعـــل .

وشرب محمود بسعر ، انه يباشر صدقـــه فى هاته العمليـــة بالذات . وكان التعاطف، آفة تكوينها ، فالانسان اختيار وتطبيق . وهى قد قالت لـــه رأيهـــا بلا مساندات خارجيـــة : ان الرفقـــة والتوافق الاجتماعيين لا يهمانى . اننى أريد رفقـــة أحقق بهـــا الخطوة الوحيدة التى تنقصنـــى . فعـــن طريـــق نـــارك التـــى اعتقدتها أوارا لنارى سأحرق الزوائد أكثر ، واندفع الى التحقيق لاتطابق كلياً فى الفكر والانجاز ، ولكنك خذلتنى وخذلت خطك ، فامتلات فجيعة، وكان أمامى مع هذا الحضور الغير التام، اما الصمت الضاج أو الصراخ الاجوف : كمرحلة . وأصبحت الحالات تتوالى ، كالايام كالتنفس كالرتابة كالاحتجاج الغير المدمر كالرماد. فالاخرى (بديعة) كانت أنثى فحسب ، أنا كنت باختيارات مسبقة ومطامح لم تنجز بعد، وأنت من أنت؟. أبعدت نظرتها عن دراسة حركته وقالت: قد أكون الشخص الوحيد الذى عرفك.. ولكن هل ذلك هو قضيتى؟!.

غطست قدميها فى الماء وكانت العملية مـن المجانيـة بحيث خطفتهما من البرودة الحديثة • وكان الشعور باللعب على النفس من الحدة بحيث أغرق كل مظهر وشكل وحركة وشخص فيه • وكان لا بد لذلك التجاذب بين الانحدار والصلابة أن ينتهى • والقـرار النهائى لا يبطله لا الحب القيد ولا الكأس ولا الصمت !!حـرون • وذلك النداء الهادر بضرورة تجاوز النظرى الى ما هو تطبيقى يعم • وحقيقتها التى لم تقتلها أحداث علاقة ما زالت تنبض • وهـؤلاء السعداء بالاستحمام والكأس وحركة المـوت مـا كـانت لتنحشر ضمنهم • وهو ، قد كان بكل غضبة شربة يحتم احتياجاته • وتلك الليالى ، لياليه ، ما كانت لتنجح فيها ولا لتموت • وشىء ما كـان يجب أن يخدم المسيرة أو يزول : حواجز القلـوب ومتاريسهـا • وبذلك تركت له منديل البحر وغنج الاجساد وضجيـج الليـالى وقررت : يجب أن أذهب •• أن أحـاول البحث عن النهـار أو أن أساهم فى خلقه وسط الليل الكبيـر •



السلب والهمجية

العيون حاضرة فى الدرب دون أن تـــرى • والشارع مملـــوء بدكاكين أصحابها من طبقة خاصة • سار نحو رأس الشارع حيث نقطة التقاء عدة شوارع تجعل الحركة صاخبـــة • تقــدم نحوهـــا وأبطلها • لم يكن تام الحضور • وحينما لاحقه شرطى وهو يصيح :

ــ لماذا أوقفت الحركـــة ؟ !

أجـــابـــه بهـــزء :

ــ وهـــل توجـــد حقـــا ؟ !

ثم تخطاه وسار فى الاتجاه المعاكس • والشرطى كالشرطـــة كغيره لا يعرف جهله • أما هو ، فقد أدخل يديه فى جيبى سترتـــه ودار خلف الشارع وهو يتهقه فى وجه البلبلة الطارئة على رسميات الشارع وأهله •

الرحلة فى الرجلين ولكن التحديد أيـــن ؟ • والمدينـــة كبيرة وفى ركن منها كان يعمل لان يملا السمع والعين : الاستاذ محجوب•

والاهالى من الجهل والشوق الى المعرفة يبجلون بغموض كل صاحب كتب • وكان ذلك يشحنه بطاقات للرحلة فى تطلعات غير واضحة • من قبل كان يناقش نفسه : التجوال عبر عقول غير حاضرة لا يكفى• فأجابه مصطفى : كما أن ذلك لا يمنح أى تبرير • ومن ثم واجه واياه اختيارا ناضجا • لم يكن هو يركن اليه الا لانه يمنحه مزيدا من الاعتبار • هذه ظروف، أصبح الرجل فيها كالمرأة يطلب المديح • وبعض الامم حينما يصبح فيها المدح هو الدافع للفعل تعتبر ميتة • والكتب فى عرف بعضهم سلم وكفى• ولكن صديقه بكل ما سقط منه فى الطريق كان له بالمرصاد : يجب أن تحدد حضورك الفعلى • وكان هو يفكر فى الثمن الذى دفعه مصطفى : البيت والابناء والحاضر الرخى • لكن هو ، هل له شجاعة التخلى ؟ ! • فى استطاعته أن يتخلى عن البيت كما هو يفعل دائما • يصل اليه فى آخر الليل حينما يعود • لكن الاشياء الاخرى ؟ ! ••

الواجهات غامضة الان بالامتلاء أو الفراغ • والسماء رصاصية دون أى نذر • وقريبا نسمع ضربات أحذية على بلاط نظيف • دورية يومية فى حى راق • ترى ماذا تحرس ؟ الاوكار والبذخ والوضع العام • وحملق فى سطح القبعات الرصاصية ، لم تكن تلمع • ولكن الدقات منتظمة ككل ما يوجد ؟؟ ككل موت رتيب • عرج نحو اليمين • هناك خضرة طارئة • موضوعة للاستهلاك وكفى • كان كبار المدينة قد خططوا للمظهر العام • يجب أن يكون الوجه الحقيقى مستورا بالحدائق والنافورات والاضواء والواجهات

والمقاهى والمحلات التجارية • لكن اسأل الدخل الفردى • أوف ،
كم من الاستفهامات العادية واللامجدية فى نفس الان قد تلاشت
وسط السخط الاشل • مصطفى له ابنان وبيت ومرتب ومـــع ذلك
حينما رأى ، فهم ، تخلى وتحرك • كانت حركته أكبر من مستوى
الحركة التى أبطلتها أنا قبل لحظة • لقد كنت فيها من كنت ومن أنا :
الفكر الغير الواضح والفعل الاخرق • وكالمرات السالفة حينما يتغل
بنوع من اليقظة فانه يهرع نحو أى مقهى قريب • يتحرر فيه مـــن
أية ادانة تنتفض • ان الكأس ضد اللهب الحقيقى • ولكنها ضرورية
له لان الحقيقة لا تخفيها غير الدوخة التامة • هذا ما فكر فيه رغم أنه
واجه ضميره فى تلك االيلة الليلاء التى أحياها ساهرا مـــع الكـــأس
ومصطفى وراء القضبان • أقسم صباحا أن يكون فى المستـــوى •
مستوى الاحتجاج المتطابق مع الموقف • وحينما بلـــغ كأسيـــن
استطاع أن يرى المقهى • مملوءة هى على عكس أى مكان فى هذا
البلد • ان أمثاله كثر • لكن كتبه هو ، تدينه أكثـــر • وشطب فى
الهواء باحتجاج • كان يوقف أى ترابط أو تسلسل فى التفكير •
فالتفكير ضد بهجة الكأس • وهو يفضل حينما تكون الكأس أن يكون
الصدق معها فى الحضور • لقد تعود هذا الاخلاص ، واذلك وجـــد
نفسه يختار أغنية من آلة الموسيقى بالمقهى •

عاد وجلس • كان يحملق فى السحنات بشجاعـــة الكأسين •
انه يبحث عن الاثر فى الوجوه • لو أن هناك من يشاركه ؟ • فالوحدة
مع الكأس تعتبر ضد الوصول ، خصوصا وأن اللحن حزين • الحزن

فى الاعماق واللحن والكأس والتيه والبلد وعدم المشاركة فى الحياة الحقيقية والاليفة للعالم • الفم مفتوخ والنار عبر الجرعات تغزوه وهو كالعادة يريد تحقيق الانتصار على كل واقع • لكن الدور الاليف كيف يركن اليه بعد، خصوصا وأنه أدرك عدم صموده اتجاه التجربة• من قبل كان وجود أهل الحى وضخامة جهلهم يجعلان لثرثرة الكتب عبر فمه مرهم التسلية • لكن لا بد أن آذان بقية الاحياء الاخرى قد ملت السماع • والناس لا بد أن يبلغوا ــ بعد بلوغهم الواقــع المرئى ــ الواقع العميق والابعد ، واعلان السخط عبر الشطحات والكأس لا يغير من التنظيمات الاجتماعية القائمة • وهذا الصوت ماله ينوح ؟ ! اننى أريد نغما مبتهجا ، صخابا كواقع أحلم بــه ولا أسهم فى صنعه •

ووقف ليضع قطعة نقود فى اختيار آخر • وقبل أن يفعل ، ارتحل فى تذكر آخر ، كانت رغبة بسيطة ترافقه لان يتجدد مــع اطلالة أية مدينة أو حديقة أو مشرب أو أى مظهر • وكان سر مــا يشده الى تلك الامكنة التى كان فى طريقه لان يعرفها • ولكن ، وبعد أن عرفها ورأى تلاشى الوجودات والاشياء القائمة على الــزيف صحا • وكانت صحوته هى الحبل الذى يخنقه وهو لا يزال سجين الكأس والدائرة الغير الموصلة والفعل الغير المحقق •• وتنبه • كان وجهه منكبا على آلة الموسيقى كأنه يختار أغنية • وفعل ، فطلع الصوت الداعر الذى ألف أن يطمس بطلائه وتذكره كــل يقظة أو محاولة تجاوز :

ـ أوف ! الجو حار •• اخلعى ثيابك • وأنا كـــذلك سأبقـــى عاريا •• ان ذلك يطيل العمر ••

ـ قـــل لـــى

ـ مـــاذا ؟

ـ نجـــرب ؟

ـ مـــاذا نجـــرب ؟

ـ لنفعل كذلك حتى نهلك ونصاب بمرض الاعصاب

ـ اطفىء الانـــوار

ـ هـــل من الآن •••••• ؟

وأحس بدخول حدود مفاجئة • وكان شىء ما فيه يرقص • والصوت اللاهث يوقظ الرغبة وكفى • وبقية العوالم والافكـــار والاستفسارات تصبح فى الخلف • وكل هذا المقهى ومن فيه وخارجه يتحركان بدءا من ذلك • والاحتراق بالعجز عن البدء يصبح رمادا • والحريق هو حريق هذا الموضوع وكفى • والكأس والحريق يخفيان كل أثر أو ذكرىأو قضبان سجن • وأحس بكل من أمامه أو غائب عنه يتحرك من ذلك الصوت الشبق المحرق • وبفعل الكأس الحادى عشر أصبحت الامكنة ترقص رقصة اللذة • ووقف علـــى قدميـــه وانحشر فى المحاورة والنغم :

لا، لا ياسيد السادات

محكمة •

الحزن والضرب فى المصائر وذلك الممر المملوء بالوجوه والسخط الصامت وأنت • سيدى ؟ يا رب الاحكام وتخطيط النهايات ، أفكرت مرة أن الانسان بلا قلب ماذا يعنى ؟ • كانت القاعة هولا •• كل هذا المشهد يقصد فريسة ، وأنت أيها المقتدر تستخدم مخزون القانون وتشد الفتحات فى وجه أية هبة انسانية ، لتصول صولة جالوت داخل حيطان • لكن البطولة هراء فى عالم كله سجين • والقاعة هى ما هو خارجها • وأنت الحاكم المحكوم فى القفص فوق المنصة • والفريسة هى نحن • وعشرة صغيرة تستفهمك عن الخطايا الكبيرة والجرائم الحرة ؟ ! وضميرك سيدى ماذا يقول فيها ؟ • ونحن فى القاعة ، فى الممر ، فى مصنع الجريمة فى أزقة المدينة فى السجن الكبير لم تتنبث فى رؤوس كل منا الاذان الكبيرة • وبسبب ذلك كله نستطيع أن نتألم : للقاعة لتحريف القانون لشراسة الوجوه لمن يسد المنافذ دون الانسان لمحاكمة الصغائر لك أنت يا سيدى •

المبنى

الحب والبساطة والتفاهم وكل ذلك كان هو المبنى • المبنى يصبح معنى فى قلة قليلة من البيوت • وست عشرة سنة من هذا الثالوث قد حققت خلية ناذرة فى الكيان الاجتماعى • واسأل قلبك يا سيدى عمن يحطم تكاملا تاما ، اسأله عن التوحد فى علاقة تعدت الوقوف عند التفسير الى المعايشة الى الفناء الخلاق فى تحقيق الافضل وأجبنى ، وقل له ما رأيه فى جزار المصائر الذى رمى بكل ما كان وما سيكون فى مصير مجهول • وحينما يجيبك أعد عليه هل يحس ما معنى التحطيم والفراق واعدام الافضل (آمينة ؟ ان واجباتى فى العمل ملحاحة ، يجب يا عزيزتى أن تشرفى على تسيير البيت كلية) وفى جلسة تحددت الاشياء • ولكنه هو ، بكل ذلك التفانى الخارق ، كان مصروف جيبه يعود الى البيت (ليلى هذه البذلة هدية لك على أول رسالة كتبتها فى حياتك وعمرك ثمان سنوات ، سوف أشترى لك حذاء جديدا ان قرأت لى هذا العمود من الجريدة) يا أنت ؟ مظهرك لا يدل على كل مخبرك • وحينما يكتفى البعض برحلة البحث عند أول شط فان كثيرا من الابعاد تضيع • فهل ضاعت أبعادك يا من أنت انسان ؟ !

مناقشات

الممر هو الممر • وصوت القدر هو صوت الجزار والقاعة هى جحيمه وكل تلك الفضائل فى القفص تنتظر • التجربة احتراق فى بعض الاحيان • والاحتراق قاس حينما يتعدى القفص فيضم كثيرا من المكارم ليرميها فى جب • والناس فى الممر حزانى •

والحزن سلبى حينما يكتفى بأكل صاحبه • وهاته الوجـوه قـد مات شىء فيها حتى لا تفعل غير أن تنتظر • وأنت يا سيدى قـد أعطيت صوتك حق تحديد كثير من الحقائق والفضائل دون استشارة ولكن مصنع الجريمة هو هو • وهل هناك الكثير ممن دخله بريئـا وخـرج مفصـولا ؟ :

ــ كيف يحاكم من يعتبر طاقة فى البناء والبذل ؟ ! •

ــ أوف ، غلطة بسيطة • أترانا نصل بكـل شىء للقفص : الكبائر الكبيرة ، فكيف هاتـه ؟ !

ويتـدخـل ثالث :

يجب مراعاة الابعاد الاجتماعية للقضية : فالبؤس الاجتماعى والبطالة وقلة الدخل الفردى يدفع الانسان للبحث عن الطرق الغير المشروعة لضمـان الحيـاة •

ــ يجب أن يراعى ماضيه فى العمل ، ماضيه فى الحيـاة وأن يقع نوع من التجـاوز •

ــ التجاوز ! وهل له من شفيع أو وسيط أو ••••••••

ــ المسألة من وجه آخر •• هى أن المـوظف دون أمـان ، حتى ولو أفنى حياته فى الخدمة ، فلا شىء من ذلك التجنيد اليومى يقف معه ليسانده •

ــ ترى ما هى الحيثيات التى سيستند عليها الحكـم ؟

ـــ كل الدلائل تبرئه الى حد كبير لان هناك مسؤولا معترفا •

ـــ القضية فى الاحكام ليست التبرئة أو الادانة (وأنتى باشارة) ولكنها شىء آخر كما لا يخفى عليكم ! •••••••

مـــحـــكـــمـــة

يبكى ويبكى ••• ابن الخمس عشرة سنة يبكى ويرجو : لا تقولوا لى انه سجين ، اكذبوا على وقولوا انه مسافر • ثم يضرب فى دروب المدينة هاربا من النبا باحثا عن منفذ • « ابحثوا عـــن ابنى واطلبوا منه أن يكون بجانب أمينة وليلى) لكن تلك البنايـــة يا أبى قد سرقتك منا وكيف سيكون حسابى معها ؟ • ان المدينة محكمة والمحكمة مصنع للاجرام أحيانا ومصنع الاجرام بلا قلب وأنا يجب أن أقتل من لا يملك قلبا أو أقتل قلبى لاقتنـــع بشـــرف المدينة الكاذب • أبى ؟ أكل من هو خارج القضبان لم يرتكب أيـــة صغيرة سوى أنت • لكن المدينة لا زال فيها من يستطيع أن يتكلم: ان هناك السارق الكبير والقاتل الكبير والمذنب الكبير والمـــزيف الكبير والتاجر الكبير والانتهازى الكبير والخائن الكبير ومع ذلك فجزار مصيرك لم يتحرك، لم يحطم كل من كانوه دفعة ليقول ان هناك ضميرا يستعرض رجاهته على حساب شخص بلا وسائط وتضرب رجلاه الارض ويضرب الغضب رأسه ويرفض : لا تكذبـــوا على بعد ••• فأنا ابن برىء وعلى تقع تبعة الحساب • ثم يمسح عينيه سيدى ؟ الصغار كبار فى الظروف الصعبة • وذلك الشهم الحبيس تغلبـــه عواطف ابوته • والتضحية بالمصير تهون أمـــام الابناء •

وقلبك ما رأيه فى ابوة محجوزة وبنوة مهددة بالثأر المراهق ؟ !

صـــــورة

كل ما فى المؤسسة يشكل حركة ، جهدا عضليا وفكريا لانسان يعبد العمل • أهو رئيسها أهو حارسها أهو المنظف بهـــا أم هـــو المسير والبناء والبستانى والخلاق والمخطط وحفار الاسيجة • فى ظرف وجيز أعطى لها وجها ضخما : فى التسيير والتكامل بين العمل والنتائج ، ورمى بنفسه فى كل باب ، يدقه من أجل مصلحة لها ، بل وأكثر : يجمع من الازقة الجانبية نفايات الابنية ، ويشكل منهـــا فائدة : احاطة لحدائق صغيرة يقوم هو نفسه ، أمام الملا بتبليطها :

ــ أليس هذا فوق المعتاد ؟ •

ــ لا ، انه جزء من حقيقة تفهمى لمسؤوليتى •

ــ مسؤوليتك لا تحملك كل هاته الادوار •

ترك فأس الحفر ، ونظر صوب الاعمدة التى كان قد أثبتهـــا حول ساحة المؤسسة وأجاب :

ــ القضية أبعد ، ان أحدا لا يتصور أن علاقتى بالشىء تفنينى فيه ، ومن ذلك فان اخلاصى للمؤسسة يمنح لى فرصة أوســـع ، لاستنفاذ طاقة الفعل التى تعذبنى ، حينما أجدنى محاصرا بانجاز الاسهـــل •

ــ هـــذا مهـــم •

ــ والاكثر من كل ذلك ، أتصدق أن كل ما فى حياتى لا يشكل

تناقضا معى ، غير أننى مع ذلك أحس بثغرات ما ، يجب أن تملا لاحقق ذلك التعانق بين الذات والكل .

ــ لم أفهم .

ــ ان الفعل ، الفناء فى الفعل ، هو الذى يملا تلك الثغرات : تلك الاحاسيس التى تعذبنى حينما أعرف أن بقدرتى أن أبذل أكثر ، ولكن مجال البذل يكون ضيقا لا يكفى لاستيعاب ما أريد بذله . وبسبب ذلك خرجت من المكتب الى الساحة الى السياج الى الحديقة الى الفأس والتبليط والى الانشطة المختلفة .

وتنهد ولم يتم : بودى لو ضربت فى مجالات عدة .. فالفعل والفاعل هما الاساس فى كل خلق وتطور . وواقعنا يفتقر لذلك ، ومن ثم عانقت هذا المفهوم بكلية مطلقة ، وأصبحت أتعذب لاننى بلا مجال حقيقى ، حيث أستطيع أن أقاوم كثيرا من العجز والتواكل لتحقيق جزء من المعنى والتلاؤم .

.. ثم عاد الفأس للضرب وهو يقول : سأعلم لهؤلاء الطلبة، أن العمل عبادة ، وأن الثقافة بلا فعل مجرد تفاهة ، وأن واقعنا يتطلب الفعل قبل الشهادة .

القانون

الحيثيات ــ الفصول ــ قضية جنحية ــ تاريخ كذا تحت رقم كذا ــ فصل 288 من ظهير المسطرة ــ انكار المتهم ــ الفصل 129 من القانون الجنائى ــ اعترافات باطلة ــ عدد 2401 ــ قرائن

فى صالحه ــ فصل 289 ، و 292 ثم تتلاطم الارقام والفصــول والكلمات المقننة وأين الانسان ؟ •

مــحــكــمــة

الزلزال زلزال خارج مراوغة الالم • كيف تحبس الفضائــل تدان المكارم يرمى بالافضل بنبرة صوت ! • المحاكم عادة تقتل الذنب ولا تخلقه • وأنت أيها البرىء كيف يريدون أن يصنعوا منك مذنبا المستقبل ؟ • المحامد تكرم الا الان ، فهى فى كل محكمة هنا تحاكم • الحكم حكم ومع ذلك فالبراءة براءة فى المداول • البراءة عندك فى العضل فى التكوين فى الحركة فى الفكر فى العمل فى التسيير ولو أنك فى السجن • السجن الحقيقى لم يهيأ الا للابدال وسجن الصغار لا اعتبار له • وتموج القاعة يموج الممر يموج الحزن يبكى الصدق يتأوه الليل • وأنت سيدى هل شعرت مرة بانطباق السماء على الاض فى اكتساح حزين ؟ هل غضبت مرة لطاقة تضيع بصدفة خاطئة • هل لمست جوانب فى الانسان وحققت بها معه صلة جعلته عندك قيمة من القيم ؟ هل ذقت مرارة الحكم وعنفوان ضربة الزمن ؟ أم ان الزيف هو الاساس ؟ ويطول الليل ••••

مــشــهــد

داخل المدينة تربض مزبلة المصائر • الحيطــان قصيرة فى الامام • وعليها خطوط تزيف عاطفة الرسم • المفاتيح تتكلم • كل ما هناك غير انسانى • السيارات ، المكاتب ، سياجات الحديــد ، الملابس ، الارضية ، الغرف ، ومع ذلك يطلبون منك أن تحافظ على

وقار المزبلة . لا لا وأين أنت ؟ .

وتكون الصورة وحشية ويقف الانسان الوحيد وسط اللوحة ويقولون لك : هكذا تكلم ، هكذا اتصل ، هكذا ... هكـذا ، لان الاوامر هكذا والسجن هكذا والكبار هكذا والقانون هكذا والحياة بكل هاته الكوابيس هكذا ... ويبتعد كل شيء ، يسير من هـذا الاختناق : من جبروت المفاتيح وعجرفة قاعة الرؤيـة وطابـور الشباب السجين وسيارة النقل وقبعات المسيرين وكل من صنـع هذا المشهد وأنت داخله تنسحق . سيدى ؟ ! عش المشهد وتأكد من أنك أنت صانعه وأن الانسان بسبب ذلك حينمـا لا يكـون مع الرفض هو الموت . الموت سيد السجن سيد الحيـاة سيـد الانسان سيد المنطقة سيف الكبار . دموع وعذاب ونقمة وكل ذلك هو السلب . الاحتجاج الحقيقى فى الفعل وأنت أيها الفاعل قد رموك فى هاته المزبلة ليقتلوا الخلق فيك . الاسياد أعداء الفاعل والحياة والرعد . وعيون هاته دموعها يجب أن تبصر . لا لا يا دموع الحجز يا حزن الاتكال يا غدر الظروف يا اقبار الخامات يا مـوت الحيـاة يا أنت يا سيد السادات يا جزار الحاضر يا مقبـرة المصـائـر يا كل من يقتل الصالح فينا يا كل الساجدين .. ويبـدأ الرفض : رفض كل ما هو واقع رفضك أنت رفض كل من لم يتحرك .

الـهـــدف

. . . . وتبـدأ المسيـرة . . . .

نهاية موكب

الصباح ، كان ناجحا •• هكذا رأيناه ، هو وأنـــا وزمـــرة أخذناها من باب مدرسة • وتمتـــم :

ــ ليس لى من هذه الارض الا هذان •• وأشار اليهما ، ثم غمرهما بفيض نظرة حنو ورنا الى •• فأخذت نصيبى من بقايا تلك النظرة ، كان يستشهدنى بها •• يريدنى أن آمدح بطليه ، أن أكبر من هاته الفرحة التى عمل لها كل السنين الثلاثين من عمره ، ولم تتم الا البارحة •• حينما قصد سوق «الخميس» واشترى الحمار الذى أراه يواكبه • وأصابتنى بلوى فرحته فأردت أن أتخطـــى طبقتى ، أن أنزل حافة الطـــوار التـــى تفصل بيننـــا لأماشيـــه ، لاضع رجلى على بقايا أسلاك الحديد المجرورة على الارض كمـــا يفعل الصغار •• فأزكى فرحته بفرحتى وأقول له : اننى معك •• فرحتك فرحتى •• لانها فرحة المغمورين من أهل بلادى •

وعدا الصغار وهم يتصايحون •• كانوا هم أيضا قد أتمـــو فرحتهم •• أخذوها معهم غير ناقصـــة الـــى المـــدرســـة • لان « ادريس » تركهم يسترضوا أنفسهم ، يأخذوا لهـــا من حميريـــة تسليـــة •

وفتح فمه ، كان يحكى •• يريد أن يتذوق نصره بذكر عذابات حيـــاتـــه :

ــ واكبنى الالم •• لم يبرح ساحتى الا الان وآنا آراهما معـــا

يسيران •• يتخطيان بى واقعى ، يجرانى معهما الى عيش حسن ، فأشعر بأننى أصبحت غير من كنت :واحدا انتصر علـــى التسول والخدمة فى الاسواق وعلى المعاونة فى أورشة الابنية ، لقد خلفت كل ذلك ورائى ، وأصبحت ملاكا ، نعم ملاكا رغمهم •• رغم كـــل أولئك الذين غالوا فى ثمن البيع البارحة ، ورغم الذين أوقفونـــى فى الباب ليقتنصوا فرحتى بدفع ضريبة الشراء •• فلقد انتصرت عليهم بالدين استدنت واحتفضت بالفرحة التى أعيشها وأنا لست متسولا أو خادما ••

ورنوت اليه بامعان •• كان أمامى بطلا يصنع نفسه •• يمزق أحابيل الواقع المنحرف من حول قدميه •• يصارع خيوط العنكبوت الصلبة التى تقيد حركاته •• يقرر يصمم يخلق يمتلك •• ثـــم يتهادى بينهما : بين من يمتلك ، يسير بجانب هذا ثم بجانب ذاك •• وبغتة حملق فى الطوار • كان يريد أن يصله •• أن يرتقى علـــوه البسيط ، أن يصبح من طبقة غير طبقة سائقى هذا المـــوكب •• وتجهم وجهه ، لقد تذكر كل كفاحه •• كفاح أمثاله من الذيـــن لا يحققون اليسير الا بجهد السنين • وغاب عنى وعن موكبه • وبعد حين استدار ورمانى بنظرة اهداء •• كان يهدينى حماره الشاب ، وابتسمـــت •

ـــ انه الكرم •• ذاك طبعه ، كل مغربى :

وبحثت عن نفسى •• كانت فى رحلة عنده ، تريد أن تبعد عنه التجهم الذى زاره •• أن تقضى على احساسه المفزع بالفـــرق ،

واستعدتهـا ثـم قلت :

ــ انه يهديك ، فهل تقبلين ؟

وتنمــرت وهــى تجيــب :

ــ لن أمد له يدى بأجر •• لن أواكبه بعطاء •• لن أتركه يعيش فساد العصر : العطاء لكل من هو فوق •

ثم هدأت ، وطبعت على سحنتى بسمة لطف وتكلمت • كان لا بد أن أتكلـم :

ــ حمارك نشيط ، هذا وقت نشاطه •• فهو لا زال فى مرحلة شباب الحمير ••

ثم أردفـت متسائلـة :

ــ أتقصد مكانـا قريبـا ؟

ــ الآن هو قريب• أستيقظت باكرا لاسبق مزاحمى• وابتسم:

ــ انها النقلة الثالثة •• وتوقفت بسمته وهو يسربل حميريه بنظرة اشفاق ويقـول :

ــ ان مشاق كل عمرى لـن أستطيع أن أرميها عليهمـا •• فهناك مشكلة ، هى هذا التطاحن الذى بيننا ، نحن ملاك الحمير ، على من يظفر هو قبل غيره بنقلة ماء •

وتأوه : ــ والبارحة فقط ، اصطدمت بوحشية تنافرنا على اقمة

الخبز نحن الطبقة الفقيرة ، فالاصدقاء •• أولئك الذين كنت أتوقع منهم فرحة تزيد فى فرحتى ، غاضهم الامر ، ورأوا فيه سببا لتأخير دور النقلة عنهم •• وبلع ريقه ثم رمى كل ما حوله بنظرة كبيرة وهو ينشر حقيقته بيأس :

ــ لكن هذه هى اقمة العيش هنا !! ••

وفكرت : انه يتكلم ، يتحدث عن طبقته بواقعية حزينة •• عن الذين يتصارعون من أجل لا شىء•• فهم كذلك يبقون•• دائما سواق حمير ، يلتقطون الدرهم بعداوة •• ينحرون انسانيتهم فيها ، يفتحون فى الاخير سجلهم ليجدوا : الوحشية والافلاس •

وأحسست بجماعية تبتلعنى •• حالة كبيرة العمومية تحيط بنا : هو وأنا وكثير غيرنا ••

وأتانى سؤاله فى غيبوبتى الحاقدة :

ــ أتسكن هنا ؟

فرددت بحقد متضامن :

ــ نعم ، أنا أيضا من سكان حى الحمير •• من الذين استطالت آذانهم واسنت رغباتهم ••

وفى الحين تشعبت الطريق •• فأخذت وجهتى وأنا أقول بتنمر يكسر قيد ذلى وذله وذل أمثالنا :

ــ لا تبتئس ، لن نظل حميرا كثيرا •• سوف نسترد

انسانيتنا عند ما نهز المركز ليرانا ..

وسبحت .. كنت أخطط .. فأتانى التكسر عنيفا واصطدم بأذنى .. فاستدرت ، ثم انقلبت : سيارة تدوس قداسة موكب حقير !! الحمار الشاب توقف عند شبابه نهائيا .. لن يسير فيه بعد الآن .. هكذا قررت السيارة ، والكبير تركته ليعانى آلم التكسرات الكثيرة .. وبينهما « ادريس » واقف وقفة تحكى ذل طبقة .. وبعيدا عنه قليلا شخص قريب من السيارة يحكم :

ـ لا بأس ، انه أجنبى .. جاء ليتفرج على الحمير فى مدينة الحمير ..

فى اليقظة .. فى الحلم

احلم ، تنبه ، أنت ، هى ، أنا ، هو • وجلستك التى تحمل دلالة الصخر ، قطعة من أرض بشرايينها : أرضنا •

ــ كيف الاخبار ؟

ــ ان الدم هو الذى يتكلم ، يهدر فى سيلانه ليصعق الصمت الذى ران على الحياة من قرون ، فولد الهزيمة فى الفكر والسواعد والشعور والانظمة ، مع أن لغة التاريخ هى هى : من لم يشتر الحياة بالموت لن يحيا أبدا •

ــ والاسياد ؟ •

ــ يستهلكون الزمن الميت الذى صنعوه • خصوصا بعد أن سرقوا أفكار الشعوب وغضبها لتبقى تؤدى ثمن آثامهم وأفراحهم وهزائمهم •

ــ وهامان ؟ أبلغتك أخبار صرح ألوهيته ؟ فبأمره تتجدد اللحظة وتدمع السماء لتقيم الارض مهرجانات للسقوط • وهامانك

وهامانى ، هامان الماضى والحاضر لا زال يحكى وفوقه الشرائط والانجم والالقاب وهو يصيح بألف صوت وصوت •• كل صوت : ليصنع اقتدارات السماء وحياة الارض ورجاءها ودموعها وأفراحها وقومى مع ذلك يرتلون : حى عليك يا رب المجد والرخاء والحريــة والبركــات والتقــدم •

وتموت كل حقيقة ، كل خلق ، كل وجود ، كل اسم الا وجـه صرحه الحالى: حينما يقف أمام عجزه متمرغا فى الرماد وهو يتضرع : أيها الرب ، أنزل مطرك فلقد وعدتهم به

الرب : يا رب كل هامان •• كل امطــار القحــط والفجيعــة والمجاعات والزيف والطرد • ما قولك يا رب كل هذا الواقع ، رب كل شيخوخة ، كل عقم ، كل موت غير ومضة فى رحم جيل باك مهزوم جبار • جيلك يا صخر ، يا قطعة مستقبل تقول : يدكم •• يد هذا الشعب الموجود المنعدم تشحننا باصرار نحمل السلاح به مائة عام • صخر ؟ ضد ماذا ومن ؟ ضدى أنا ، أنا الكل ، سليلة مائة قرن من القهر والجهالة والقبح وصنع الامجاد للطغاة •

ابتسام : البسمة والالم • وطاقات هائلة من الحماس لتقويض الانا •• أنا التاريخ العفن ، أنا المحنطات الركوع الصمت الرفوف : فيك ، فينا ، فى ، قبل أن تتشكل النطفة فى أرحام الغد بلون غيــر اللون الذى أخذ منا حق الانتساب لفصيلة الاشراف •

الحركة فى الخارج والعجلات تسير وهى لا تسير ومسيرتكم

قد بدأ محركها يأتى صوته وأنت فوق الالم فوق الماضى عند ذلك الآتى تضحك من حكاية جدتك عن هامان •

ــ الصخر صخرك وصخرى ، صخر جيل باك جبار ، وصخر الارض أتراه يستمر فى احتضان المساومين ؟ •

ــ لا • فاليقظة لن تقبل وصايا من ساوموا علينا فى السوق • شىء ما فيك ، فى ، فينا ، يتكلم : هل المعركة هناك وكفى ؟ أيها الصخر الذى يحلم يتكلم ، أتحيا المنطقة بالدم هناك ليبقى الموت بالعروق هنا ؟ •

ــ أمة واحدة ومصير • الموت عشناه ككل ، ولن نقبل حياة الاطراف دون كل الكيان •

أيها الصخر • يا قطعة الواقع والامل • عر الغد بعد اليوم ولن تفعل الامم شيئا اذا لم تبصر غدها من يومها ، فما هو دوركم ؟ •

ــ ثورة ثورة ثورة ، فينا ، فى المرافق ، فى الحدود المشكلة بيننا ، فى الانسان الضحية ، فى الوجه المعفر ، فى اللسان الاخرس ، فى شلل الارض والحركة والرؤية والحلم •

ولكن ذلك الطالب واجه الاجنبية وهى تضع يدها على رسم فى خريطة : (لا ، انها ليست اسرائيل) • فتظافر الجرم والزيف عينيك فى قلبك فى سلاحك وعقلك : عينى وقلبى سلاحى مدينتى وموت الشمم وقرر : الطرد !! ان هذا يحدث : صخر ، وأين ؟ فى ورفضك •

وتتحرك جلستك ، ونظرتك ترميها على كـل الرفاق ولا تكـون مع حالات الحاضر : حالات الماضى ، وانما الى ذاك الآتى • أحمد• باليقين ، بالتجاوز ، بالاصرار ، بكل أحمد ، وبكل من يمحو العار عن نفسه والتاريخ يأتى الصوت : (فى كل حى عندنا بالاردن تشكيلة فدائية للاطفال والنساء والرجال • الحياة تصنع وقد كان الطـرد الجماعى يتعقب حتى ذبذبات الاحلام من قبل، ولكن الانسان أقوى)

أقوى! وعفونة عبادة الرماد تفوح منى، من هؤلاء، من كل واحد خارج حيكم ، حتى الاقوياء الذين ترتسم على ملامح أطفالهم أحلام المدينة البعيدة القريبة كحلم كحقيقة كوجهك • قطعة من الصخر هو، يتفرع الى دروب وأبنية وحضارة واعلان عن اسم خـارج بحـر الظلمات وخليج الانهزامات ، لان الشارة ، شارة فتح ، على صدرك وصدر رفاقك قبل صدرى وصدر هؤلاء لم تعد وساما ، بل أصبحت عقلا وتخطيطا وشيئا من الذات سيتحول الى ذات كبرى : ذات أمة هى بين ساعديك كموت سيحقق الحياة ، وهى فى أضعلى وأضلع أشباهى كومضة كحنين لاننا تشكيلة ذات موقف نشاز : (الكتب أكثر تزييفا من الاسد) أسد اليوم لا أسد الغد ، الهـررة الذيـن يموءون (نحذر اسرائيل انها اذا لم تحتفظ بغنيمة الجولة الاولـى والثانية ، فسوف نطلق زفرة تتفجر فرحتنا من عهد بنى النضير) • أو الآخرون ، الذين يأتى دورهم من فم الاشباح على المنابـر : « اللهم انصر اخواننا عرب فلسطين » !

عار وبكل صوت أنت عار : عارنا ، ونحن نقبل صهيل القطط

ومنطق الاشباح أو الانفجار فى غضب صرف • الصخر • صخرك لا صخر هؤلاء • والجولة اما للموت أو الحياة • وكيف تظل بعض المناطق معارض للتناقض • وهذا التواكل متى يثور بشكل كلى • وحياتنا بعد ان لم تكن لنا ، أترانا الآن نجعلها ربحا أو خسارة بالتمام ؟ •

ـ ستكون •

فى الرزانة فى بدء الفرحة فى انتفاء الحد بين الوت والحياة فى صوتك : ستكون ••• وشىء منك قد ارتحل مع الاشواق فى « ستكون » ، لتصنع هاته الكينونة من فورة أهلها : الميتون الثائرون •

ـ وقراصنة العالم ، الذين يصممون خريطته بين المناطق للاموات والاخرى للاذيال ، أتراكم أكبر ؟•

ـ نعم •

ـ بماذا ؟

ـ بالاصرار • آخر حى فينا لن يركع •

ـ والجيران ؟

ـ انهم يستنفذون حياتهم ، ينحرون وجودهم بسقوطهم •

ـ وقنابل الذرة ؟

ـ ولو ••• فهى لها قبل سنين : عثر علماء جيولوجيون تحت

الماء عند شرق الابيض المتوسط على اشعاعات ذرية •• هى طبعا من تجارب سرية لها ، لكن نحن ملتحمون بها ، ولهـذا السـلاح سنكون وإياها عرضـة •

ــ قد تختار عواصم عربية •

ــ طيب ، لتحم العواصم العربية نفسها اذن •

قهقهات، حقارة وقهقهات: العواصم العربية تحمى نفسها !!• قد وقد لا، لا، يجب أن نضع صمامات فى الاذان دون كل تهريج لتنمو النطفة وهى تتكلم بالفعل ، ليصبح الفعل أسلوبا واختيارا ونمطـا وتغييرا ومسيرة للتطور • قبل أن يؤدوا ثمن السقوط ، ثمن جعلنا جميعا بيادق لتجربة غدرهم • أما القنابل ، أما الموت ، أما الخوف ، أما التسييس أما المهاترات المحلية والدولية ، فقد بقيت فى قبور من عادوا يوم النشور : حينما مات كل شىء ليتجدد كل شىء •



المنفى

لانك أنت (لانك أنت أيتها) لانك أنت أيها الشخص الذى يريد أن يكون رجلا فى حياتى • (لانك أنت أيتها المرأة التى أضع عليها شارة أنثى) • أنت ، تلك المرة والارائك والفسحة وأستار النافذة وشىء من السحر • كان شخصك يقطر ، ليتخذوهم وجود كان لك أصلا ، حينما ابتدأت فكرة فى ذهن الله • (ولكنك أنثى) • أتــرى كيف أنك تكتسب حضورا غيبيا ، لأن الاثنين فيك ليسا لى : ذلك المؤطر اجتماعيا ، وصاحب المواقف • (عيناك قسماتك فهل يدك فى يدى تشكل خطرا ؟) وتلك الشخصية التى تفرض نفسها برقــة متلاشية ثابتة منطلقة من الشىء وعدمه كيف تقول هذا ؟ يا كــل الرجال فى رجل ، ويا رجل بدون كل الرجال ، لانه خارج ذاتــه ، خارج المتطلبات التى تقول هذا : عندى •

الكأس وشفتاى والتفاهة حينما يحتمى الانسان بجرعة شاى : صب لى واشرب أنت وهاته المخدة لماذا لا تتحول جدارا اسمنتيا يحمى الفكرة • أوف •• ويدور الكأس بتوله عجيب بين أصابــع شاردة • لان الاطار والحركات واللاواقع فى الواقع شىء يذهل • (أقول لك انك لم تفهمينى) • الفهم وعدمه ومتى كان الانسان فى

مستوى أى فهم وهل التطبيقات ضرورية لتحقيق كل فهم والفهـــم التجريدى ما قولك فيه ؟ • عيناك مغروستان فى حروف والرجل فيك محتار وهذا العالم الغريب كيف تراه يتكلم • (ماذا تقولين ؟) • الواحد والثانى مشكلان والظروف تصمد فيهما وأنا لا أقبل الهوامش والثالث فيك لا تقبله ، فهل فاتك من أنت فى الاصل ؟ • رجـــل • (وأنت كل ما فيك امرأة ، فهل تنتظرين شيخوخة الحياة لنمثـــل الدور فى انطفاء ! اللهب فى البشرة والنظرة والهروب وأنت رحلـــة شاقة) •• وتهمس الاخرى : قد لا تكون • وتتوتر حافات الكأس وتصطدم بالاسنان فقط ولا تسيل جرعة ويبقى طنين الاصطـــدام والتوتر • (ماذا تريدين ؟ لماذا أنت فى هذا الغياب ، تولى مـــاذا تريدين ؟) • الواقعى والمستحيل • وتقهقه المرأة أو الحقيقة أو هما معا ثم تصمتان • النظرة تنغرس وتنغرس ولا ترى والصمت هاته المرأة ثقيل والسيارات هائمة على السطح والبنايات قائمة فى عجرفة والشىء يحتمى بالبلاهة العامة ليخفى الخواء فى كل ثقل ، ومع ذلك لا زال هناك من يكافح• (ولكنى لست فكرا) • بالبراءة بالطفولـــة بالرجاء تتكلم وتنسى أنك مع الاسياد !! • (اسمعى ••) ثم تمتد اليد فى ثقة محملة بما أرفضه ولا شىء يحدث غير أن حكما بالنفى قد صدر : خارج الجدران والمدينة وكل أفق وخارج الانا • خشب• (فكرك هذا هزم المرأة فيك) خشب (يجب تحقيق التوازى بينهما) خشب (وحتى هذا حوار تجهلينه لكن يمكنه أن يكـــون) خشب • فالتى يمكن أن يحدث معها حوار رمتها حركات يدك فى منفى • أين هى؟ اليد حينما سارت كانت كأنها قد خبطت بحكم قدرى : الى غياهب

سيبيريا وقمم الهملايا والانديز والى كل الاصقاع الى العدم : أين أى شىء منها غير الخشب • (يا امرأة ؟) • الشىء بلا شيئه وكل حوار حقيقى مستحيل • (أ أحببتنى ؟) • لا • اثنان فيك تعرفهما والثالث متى ينبعث منك وأمامك لتعرف نفسك فتعذرنى وكل خطاب غير قابل ليكشف الثالث فيك • (لماذا ؟) الخشب يرد : للراحـــة • ويطمس الشاى شهقة كادت أن تنفلت من الشفاه • فما الراحة ومتى كانت لها : أيها الشخص الثالث الغائب الـــذى وددت أن أحـــاوره بالصمت بالتوتر بالموت بالحياة لا تصدقنى • النظرة فارغة والدرب فارغ والعالم فقد ضجيج سلاحه وقضيته ونحن الـــى أين نسير ؟ العجلات لا تفعل الا أن تكون فى دورتها كانت كأنا ككل دمية ارتمت على نتؤات الوجود لتكرر الحركات من أجل الوصول الى نقطة البدء• تدير وجهها : أغضب هو ؟ لا • أين سافر العالم ومتى كانت الرؤية لا تتم مع أن العينين منفتحتان • (انك لا تفهميننى) • الفهـــم : فهمك وفهمى والشخص الثالث هل ستكلمنى عنه ؟ ! • ان الاختلافات التى بيننا فى الافكار • لا ، هناك نقاط التقاء والخلاف الحقيقى فى المواقف • ويسير السير دون أن يسير ، فى النحن فيهم فى الارض فى الحركة • الخشب هذا ، هى ، أيحس بفـــراغ الاحســـاس • الخشب هنا والتى تحس بالمنفى • المنفى فى الرحلـــة والرفقـــة والآخرين والكون والانا والانت • ويأتى الصوت ، صوتك ، من منطلق أعمق : (ليس معنى موقفى أننى ضد القاعدة ، اننى غيـــر مفصول ، ولكنى أقوم بالمسؤولية بشكل ما كما يقوم بها أى أحد) • قهقهات • من فعلت ذلك ؟ الخشب أو الحقيقة ؟ • لم يكن يسمع غير

صدى شهقة ضاحكة مهووسة خارج حدود المنطق • كيف ! فمع من هو وهى مع من ؟ ، وهل الانتساب الى الآخرين من الالحـــاح بحيث يطرح نفسه فى علاقة كهاته ؟ • هو مع واضعى المشانق وهى مع هؤلاء ومعه مع كل الحدود وخارجها جميعا : مع نطفة الاشياء والعلاقات والمسؤوليات والاشخـــاص والمعانـــاة والـــوثبـــــات والاحاسيس • النطفة غمرها التشكل وكل تشكل رياء وكيان العالم هو هو وعالمها الحقيقى كيف تلقاه ؟ • القهقهات مرت بجانبه ولــم تلمسه • يده على المقود والمسألة هل قضية بعينها نتبناها أم ان بصيرتها التى توقفها على متاهات الاشىء فى كل شىء ، فنتجاور قضية الدم والكفاح والنصر والشعوب الى استخلاص الهزيمة فى النصر والزيف فى الحقيقة والخطأ فى الصواب والغموض فى الصراحة والنفى الابيد فى كل علاقة أو مبدأ أو اقناع أو يقين • الشخـــص الثالث ، أنت الحقيقى ، أيستطيع أن يقيم جسرا بيننـــا لنطـــرح أشياء عدة للمناقشة علنا نفهم أو نتعانق أو نذرف الدموع • وتقول هى : هذا رأيك ، انما حينما يكون هناك نظام عفن ، ويكون هــذا النظام مدانا على مستويات عدة ، فان أى أحد يرافقه ، فانما يخدم بقاءه • الصمت نفسه وذلك الافق هل نقصده وكم بعده من آفاق أخرى وهل أريد أن أقول ان الانسان عندنا فقد القدرة على التمييز بين الافق وموطىء القدم • مسحوق • هو أو أنت أم نحن جميعا • ما الاصل ، الفكرة أو الفعل ؟ • واقعنا ينفيهما معا ، وصوتك يـــرد بهمس ، حتى هذا اختيار •

الى أين ؟ . العصا دائما فى اليد والبحث أبيـد والتيـه هـو الأساس . قال البعض : فى ذلك التيه الانسانى تتحقق الحضارات والنبوغ ومسيرة الايام . لكن أعصاب المرهفين تضج : الى متى ، ألن تنتهى اللعبة ؟ فمواكب الهزائم والظلم والاحتقارات والانتفاضات والدم والانتصارات لن تخرس استفهامات أزلية فى أس الدماغ .. دماغ رجل أو امرأة . (هل ستظلين تنسين أنك امرأة ؟) . لا ، اننى هى ، أستطيع أن أقيم علاقة بالآخر فيك لو أنه يكون ، لكن الخشب والحقيقة لا يمكن أن يمثل بهما . الرفض ايجاب فى بعض الحالات. وليشتعل الخشب يلزمه لهب أفعوانى صخاب . الصخب فى الاعماق وفى الخشب الموت . الموت فى الامس واليوم بالنسبة لعدة مـن الافراد والشعوب . وارادة واحدة تستند اليهـا تظن أنهـا تملك الزمن : غده وأمسه لا تملك شيئا . والزيف لا يخدم غير دمـاره . والجوع والجهل والقهر فى كل النفوس والاركان . وحزازات عظمى ستنفجر ممن يظن أنهم دمى . وأنت كيف تقبل أن تكون عمودا من الاعمدة لخدمة الارادة الواحدة . الاول والثانى فيك غير حقيقيين وأين الآخر ؟ . (أنت امرأة وكذلك أراك ، فكونى بالنسبة الى كذلك فقط) لا . الصراحة وعدمها سيان . عيناك فى الصورة وعلى وجهى وهل الانسان يلتصق بالاقرب ليحمى نفسه من ضياع ما . كل ما يلمس بالحواس يمثل الاسهل . وبعض الناس يجب أن يستهلكوا طاقات انفعالية أو فكرية أو بدنية فى غير السهل ، ليصلـوا الـى الحقيقة : الى الافلاس . وجهك قريب ، فيه آثار عـراك الطفـل والرجل . لو أنك تقبل حنان امرأة لا تخصك ، لمررت بكفى عليه ،

أمسح عنه لوعة عميقة غامضة تعيشها ولا تشعر • أدغدغه بحنان صفيق لامرأة لا تريد أن تكون بالنسبة إلك امرأة • (لو أنك تقتربين قليلا فما يضر) • الخشب ثابت فى المظهر مشتت فى الابعاد وعينا الانثى لا تبصران • التمثيل من فعل القاصرين ونحن فى الحياة لا نفعل غيره ، لكن هل حتى فى هاته العلاقة ؟ • لا • (امرأة أنت يا امرأة) • كان ذلك وكان ، يا امرأة أنت منذ نشوء الازمان ، قبل أن يعشش فى عقلك الله والشيطان ، ويصبح بحثك أكبر من قضية الشعوب والاوطان : قضية الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم والخالق والمخلوق والموضوعى والمطلق والله والانسان •

(اسمعى ، اقتربى) • المسافات لن تقطعها أقدامنا الى بعض ولو سرنا القرون والدهور • فأنت لا زلت جديد الخلق وأنا ، كيف أنا : مشروع حياة لم تلتئم أطرافه فى كيان أو حقيقة أو ذات • فياويحى ، صخب الحياة دفاق فى عروقك والمرأة فى لا تقبل أن تستيقظ فى سبات : فأن تكون اليقظة بالتمام أو ألا تكون • لكن من استيقظ مات • قتلته يقظته : بيده أو بيد الحاكم أو الفهم أو الله • موت أو حياة فى بطولة هراء • (ماذا تقولين ؟) أننى أرفض الهوامش : حتى من أحبهم ، الذين دخلوا تاريخ القطيع العالمى بواسطة الدم والنار ليقولوا اننا نوجد ، قد رفضوا بعملهم هوامش حياتهم ليحققوا عبر تمام الموت تمام الحياة (•••• !) موقتنا • الغاصب والمغتصب والقوى والمكافح والقاهر والمقهور ورب الارض رب الناس رب الفكر رب الشعور رب الخطيئة الضلال البسمة الزيف الفرحة كل شىء ولا شىء وأنا كلنا وأنت وحتى هم : المناضلون : أى خليط !•

ان العالم خليط وهل سيظل خليطا لان الكلمة لا تفعل شيئـــا وكيف اقترب والقرب دائما ليس غير تعبير • التعبير كان على الصعيـــد التاريخى مستوى حضاريا وهو الآن قافلة للزيف • نسمعه تسمعه يسمعونه دون أن يبلغ أى أذن • الانفجار لا زلنا ننتظـــره حيث الآذان والقلوب وبعض الحقائق والقربى توجد • مليـــون ملايين كلمة وموقف وتجربة أخبرت أن المرأة الرجل وتقولها حتـــى أنت وخطاى على الاسفلت والمدى • بطن الارض معبأ بعويل عميـــق سحيق هامس صخاب لامرأة أولى كانت على سطح هاته الارض تذرف الدمع والزفرات بحثا عن آدم • الارض لا ترتج أو تنفرج الا فى آهة أزلية • الصمت الموت الآن فى كل شىء وفى خطـــوات امرأة أخرى فى هاته الارض وكل أرض ، تفجر الرحلـــة والبحث الحزين بخطوات كالعويل ، عن البدء عن الله عن الحقيقة عن الشىء فى اللاشىء عنك أنت وتقول اقتربى ! • الســـادات ! ، ســـادات الحالات ، كل الحالات وسيدهم ثم نحن الضحية : الرعاع • الرعاع يتفجر ترتيل تاريخه الطويل عن زفير •• هو هذا : أنا ثمنه وكل من يرفض • فالنخاسة فى الابدان أو الافكار أو المبادىء أو العواطف يجب أن تموت • وعليه ، فهل الرجل فيك يفهمنى : يفهم المنطـــق فى اللا منطق فى منطق امرأة بالخصوص • أكثر الرجال فى أبديـــة موقفهم من المرأة تجمدوا • والثالث فيك أكبر من الاول والثانى وهل على أن أظل أترصده فيك وفى كل آدم وجميـــع الرجات • دقـــات الارجل لا زالت تخبط الارض فى بحث شرس عميق سحيق مبتسم حزين وحواء الاولى تتقمص الدور فى هاته العيون بذلك الافق وهل

تراه؟ هنالك حيث سنكون بلا سادات ولا رقيق بل بالاصرار بالغضبة البكر بالبناء بالفرحة المشعة من كل ثورة وحقيقة حتى حقيقتك • انما الآن هل فقدتك ؟

ـ (اتصلـــى بـــى)

ـ •••••• أنـــا ؟ ! ••

البدء والتتمة

الرؤية والمباشرة وهاته العتمة مالها تواجهك ؟ ! ، الخـــارج والداخل سواء والفرضيات قائمة أمام كل بصر • رنت بعينيــن ضيقتين تمسك بالشعاع الكهربائى المنبعث من الزاوية الشمالية • كـــانت العينـــان مملـــوءتيـــن بالنهـــــار والشمــــس والمـــــارة والشرطة والاعلانات والواجهات وأعمدة الصحف • وكان الخارج ينغل رغم زيفه ليكبر التيار العام فى السير فى الاجتماعات فى البحث فى التضخم فى الصراع فى التحقق فى الليل من أجل النهار الكبير •

ـــ مـــن هنـــالـــك ؟

ـــ أهـــلا •

الاوراق مبعثرة فى الكهرباء فى ليل النهار فى الزاوية فى الهمود• وكان القلم يسير بين جملها وفقراتها • قلمه وفهمه وتأويله وحده • وكان الفهم العام فى المنفى ولا يهم • فهمها من فهم العموم وهو لن يسمـــح بالنظـــر •

ـــ أ أفتح النـــافـــذة ؟ •

تحرك الرأس نفيا فتحركت رجلاها الى المطبخ • المضغ حركة مجانية كأغلب الحركات المنجزة فى زمان ومكان معينين • صعـــدت الدرج وفتحت بعض الكوى واستنشقت هواء غير محبوس ثم تمطت كمن يخرج بأطرافه ورأسه وتنفسه من سرداب ما (عادة لا يوجد

بالبيت فى مثل هذا الوقت ؛ لكن ومتى يوجد ؟ !) كان عياء العمل قد تكالك فى جسمها وفمهاوكانتهاته الثكنة الكئيبة الصامتة تشحنها بلا معنىقاتل •وحينما تهرع الىالذوبان فى البذل فانها قد أصبحت تتخذ ذلك كمهرب ، كبديل ، كبحث مقنع عن مفهوم لانسياب الثوانـــى والساعات والعمر ، لا كما كان من قبل ، حينما كانت الاختيـــارات والقناعات ضمن الشروط الاجتماعية والتاريخية هى المحرك وهـــى التنفيذ • خرجت الى الشرفة وتمطت كمن يرمى بعياء اضافى وفكرت: من ملك فى هذا العالم الشاسع خط البدء فقد ملك كل شىء ، ولكن ، من ضيعه ؟ ! •• الاحداث تفاجئك أحيانا بظروف قسرية أو شبـــه قسرية لتصنع منك عابرا لها لا فاعلا •• لا ، لا • مـــرت سيارة • الحركة أساسية ، أساسية يا عالم وهاته الثكنة تقتلها حينما يملاها الفراغ والكلام الاجوف وليل النهـــار •

انسابت عبر الدرج وكان وقع خطاها هو الصوت الوحيد الذى يتحدى الصمت العام • كانت تريد الخارج والضوء والحركة والناس والاتحاد الحقيقى • الاجتماعات لا زالت متوالية • وبلغها صوته :

ــ أينـــك ؟

تسمرت ، ثم سارت نحو باب الغرفة وأطلت واقفـــة • أشار برأسه أن اجلسى • رمت نظرة مفكرة على كل الغرفة وتعجبت من الاشارات الصغيرة الآمرة ، ثم تناولت الجريدة من جديد • ضيق ما يولد فى هذا البيت ليقتل كثيرا من المباشرة والتوحد والاندفاع • من قبل حددته : انه الرخص الكبير الذى يشمله • ولكنها الآن لـــم تعد تقف عند هذه الحدود • لقد كان نموذجا مطروحا : نموذج التضاد

التام الصالح كمادة وكتعرية فى ظرف التحول لمجتمع مـــا •

ــ على ماذا أزمعت أمرك ، هل تترشحين المجلس الوطنى من جديـــد ؟

عيناه منحدرتان وكذلك رأسه وقامتـــه ، أمـــا صوتـــه فهـــو وحده الذى قد انتصب • عيناها تلفه بتعجب وهـــو لا زال يملـــى استجـــوابـــه :

ــ مـــاذا قـــررت ؟

الموضوع هو هو • دائما يلتجىء اليه كلما أحس برغبـــة فى استعراض ما • لكن هل تترك له استفهامه معلقا وتخرج ؟ هل تجيبه بتلك الاجوبة السابقة أم هل تقول له : ابحث عن ساحة ومعركـــة وموضوع وعضلات أخرى : ابحث عن الحقيقى •

ــ مالك لا تتكلميـــن ؟

هاته المرة رفع رأسه • كان غيض وشماتة يملان وجهـــه • هذا الوجه التقدمى وهو يضبط وجودا متخلفا قد يترشح من جديد للمجلس الوطنى !! وتشكلت صورة بالتمـــام :

فى احدى المقاهى وقد انتصبت زوجة أحد المناضلين الحقيقيين تعرى من يتمسح بموائد الذين يصنعون مبادئهم أفعالا • ولكنهـــا ضبطت نفسها: تواضعت من أجل أن يتكبر أكثر : ان يطلع كل ريشه لتنتفـــه له بالتمـــام •

ــ ألم أقل لك ، فليست هناك أية قناعات فكرية أو ايديولوجية ٠

فاستهــزأ :

ــ لعلك تهرفيــن ٠

ــ بل تعرف أننى أتوافق مع ما أستطيع أن أنجزه فعــلا : فحينما يمتلىء فكرى بنظريات ثورية ، وأكون دونها فى العمل ، فعلى ألا أنصب نفسى نظريا ، فى تنظيم سياسى فاعل ٠

أحنى رأسه دون اقتناع ثم سرعان ما رفعه :

ــ ما لا أفهمه هو أن تتناقشى فى الكلخوزات والسفخــوزات والسياسة الزراعية فى الاتحاد السوفياتى والخلافات التــى قامت حول ذلك بين ستالين وترتسكى (اليسار الشيوعى) ثم تنصتين الى التعادلية وغير ذلك من الكلمات ٠٠

كم تكره المناقشة الغير المهذبة ٠ ولكن لم لم تناقشنى آنذاك ؟ وفكرت فى الابعد : ان خطر الطفيليات على المشاريع والمحركات والاحزاب والتشكلات والانطلاقات أكثر من خطر الجبهة المضادة ٠

وفاجأهــا :

ــ الحقيقة أنك متوافقة فى انتسابك مع طبقتك : البورجوازيــة العفنة التى تطالب بالترميم وليست لها الطاقة للرفض ٠

ولكن أى وضع أو حالة أو ظاهرة أو سيرة وسخة عفنتها جديا

يا آنســت ؟

ــ ان البورجوازية مستوى مادى أيضا وسلوك وعهر وتزييف وتكالب على المسميات والمصالح ، فهــلا وازنت نفسك بذلــك كله وأخبرتنى ؟ ثم ألا تتفق معى أن البورجوازية ذات خطر أقل من خطر الذين يتسربون بنفس الشعارات النظيفة فى صفوف العاملين الحقيقيين ليعرقلوا أو ينسفوا مسيرتهم •

ــ أهكــذا تطعنيننى •

ثم رمى أوراقه بغضب • ولكن هكذا صنفت نفسك • والغضب المجانى لا يستر الحقائق •

ــ اننى لا أدافع • أبدا • فأنا ضد التزييف والانتهازية وضد كل من يلبس ما هو أكبر منه وكــل مــن وما لا يخدــم التغيير • وابتسمت بمعنى : وضد كل من ينتهز أية فئة سياسية من أجل أن يقفز بمركزه ، ثم بسرعة ينصب نفسه الثورى الاول ليطعن فيها•• ثم أضافت : لكن هل استخدمتها شخصيا حتى فى اصلاح وضعيتى المادية المجمدة بسبب مؤتمر مــا •

ــ يكفــى والا •••••

المسخ الذى يدعم جدران هاته البناية بدأ يرشح • يغمــر الفراغ والفراش وضوء الكهرباء • وكان يهمها أن تدخل فى نقاش ونقد سليم للتنظيمات السياسية فى البلاد • ولكن الحوار انحرف ، ففــاضــت :

ـ لقد غدرت بتطلعى ، حينما صدقت كل ما كنت أسمعه منك ، وما اعتقدته انتسابا وسلوكا • فتصورت أننا سنخلق تكاملا للتغيير: فى الذات والواقع •

انه الآن ساقط تحت ركام ما صنعه • لن يستطيع أن ينفلت من معركة هو من فتحها ، مع أنها كانت قائمة دائما • وتذكرت :

الليالى الحمراء • ومصروف ليلة كان كافيا لاعالة أبناء رفيق وراء القضبان مدة أسبوع • وهز الاكتاف أمام الحقائق لا يخفيها • والعهر حينما يصبح قاعدة للسلوك فانه لا يفسد سوى صاحبه • والعيش بالمجان لا يولد سوى الاحتقار • وأن تحتقر شخصا يعنى أنك حذفته• والقوات الوطنية مطروحة للانتقاد وقابلة للتكامـل • وكل عقيدة لا بد لها من قاعدة ومومن • والترهات اللفظية سرعان ما تتلاشى • وأن تكون من أنت يعنى أنك قد اخترت فعلا • وكثير هم من عجزوا عن ذلك • والقدرة الرخيصة تهدم الشخص والمبدأ والمسيرة • وأنت يكفيك وأنت تسل سيوفا من خشب • وحينمـا تلوم شخصا يعتبر ابن بيئته فان لومك له بلا طائل • وقتلك الحقيقى فى قد فشل • والايديولوجية دون نضال ثرثرة ••• ودق الجرس فانتبهـت :

انه الخارج ، حيث الضوء والرؤية الحقيقية والوجوه المعفرة والنظيفة والقضايا والمعارك والبحث الدؤوب عن •• عن •• عن الشمس والصدق والغـد وعنـا •

الحاضر والمنتظر

فــى الســاحــة :

السور ممتد على طول لا ضرورة له • وخلفه أوراق تين تمتص حياتها من مزبلة مدقعة ، وفى البعد القريب حركات رياضية مجانية • انما على الجانب تمتد طريق بدون اسفلت يتخذها الباعة المتجولون مكانـــا للعـــرض •

وصاح منبه السيارة ، فارتعدت جلسته وفتح ، ثـــم قعـــد : مكانه حيث السور والمزبلة والشمس والبرد والحركة وكثير مـــن الحزن • وفكر فى القرية كنقيض : كيف أنهم يحيونه لانه أصبح يعمل مع المخزن : صاحب حوالة ، انما ••••

داخـــل الجـــدران —

كان الباب الاول والثانى مغلقا ، وكانت قهقهة • كـــم مـــن الليالى والايام تمر دون ولو بسمة ، وحينما يمكن اصطيـــاد أيـــة ضحكة فلا يهم : أن تكون ضد الضاحك نفسه أو ضد معين أو ضد

العالم • ولم تستقم الجلسة ، فما يمكن أن ينتسب لهــا فهــو دون تحديد ، يأخذ بدأه ونهايته بارتجال : انه بلا قاعدة ، لان القاعــدة الحقيقية لا زالت عندها كتطلع كبير ترهنه لعصر نظيف عادل متكامل، ومن ثم فكأنها بكل ما تأتيها، تقفز عليه هو نفسه فى رحلة الشوق والفكر والاعماق الى المؤمل • واعاد من أجل الكلام فحسب :

ــ كيــف أنت ؟؟

فأجابت دون منطــق :

ــ وكيف هذا الرأس المشعث وهاته اللحية ؟ !

فذب جذل فى الجلسة والمقعد وأجاب : انهما فتح

فزكته دون اقتنــاع :

ــ ايــه •• وأى نصر يحققانه !

كانت على طريقتها فى الحديث ، تنسف المعقــول بالمجانــى وتبنى بالمجانى المعقول :

ــ وهل ترى أن من الضرورى وجودهما لتحقيق ذلك الفتح الذى يشــدك ؟ !

فاعترف دون هزء :

ــ لو رأيت فى الخارج ، ما يفعله هذا الرأس المشعث !

فـــلاحظـــت

ــ لم يعد الخارج يمنحك الجنس بهذا الشرط ، فهو فائض أيضا لدرجة انعدام الزبائن •

ــ ترى لو أنك استطعت أن تجربى أن تكونى (هيبية) ؟!

ــ وبعـــد ؟؟

ــ لتعيشى الرفض وتكتشفيه •

فطلعت فى داخلها حسرة، وتذكرت مشاهد ذلك الـــورم فـــى جل عواصم العالم التى زارتها • ثم استمرت تبتسم بهزء: فهل تقول له ان رفضا كهذا لا يقنع ، وان جيلا تنمو همومه وأبحاثه وتجربته فى هذا المسار يعد ميتا • وان كشفا لنتائج داء لا نعانى منه هـــو مضيعة• وان انشغال مثقفين بموضة ما يعد خطيئة • غير أن الحسرة فتحت الفـــم :

ــ لو استطعت •• لو مكلت هاته (الاستطاعة) لجربت مـــا يحرقنى وما لم أقدر عليه بعد، لانطلقت من حقيقة أمراض داخلية الى حتمية أساسية : الى الفعل •• الفعل الثورى بالاخص• ولكن :

ــ ولكـــن مـــاذا ؟

ــ هذه الاستطاعة هى ما تنقصنى بعد ، وهى نفسهـــا التـــى سحقت كثيرا من الجدوى عن كثير من الادوار كانت عندى من قبل مبررة ، فارتكنت الى حالة : هى الصمت أو السلب أو هما معا، غير

أنها لا زالت تلــح •

كان الصدق فى العبارة والسحنة وكانت الادانة فتأثر :

ــ صحيــح •

ــ واذن ؟

فتــراجــع :

ــ الانسان يدخل هذا الميدان على سبيل التجربة فحسب، فهى ليست علاجا ولكنها مغامرة •

فقام الشريط فى الرأس ••• أولئك الذين وجهوا حس المغامرة فيهم نحو الاجدى فامتلات بهم السجون وعرفوا المنافى أو مــا زالوا فى الميدان • وهاجمت .

ــ ألا تكون تبحث عن المريخ : الاكل والجنس والكأس وآخر تقليعـــــه !؟

وفيما كانت تواجهه كانت تواجه نفسها أيضا وكل أولئك الذين يحيون بلا حياة : المقاهى والكؤوس والنوادى الليلية والسهرات أو كما هى : النوم المبكــر •

ــ ودافــع :

ــ ولكننى أشتغــل •

ــ كما أشتغل أنا نفسى ويشتغل جحفل الغائبين تاريخيا •

وسكت سكوتا محرجا وكانت هى فى احراج أكبر : فحتى هذا الحوار يعد ثرثرة فحسب، والواعون قد بدأوا ، وأن نشتغل فحسب يعنى الرضى ، وهذا الضياع فى دروب عدة غير أساسية يعتبر تضييعا للدرب الحقيقى ، وأنت وأنا ما نحن نفعل ؟؟ ! •

على المائدة :

الصحن ممتلىء دجاجا والايدى تنهشها بحذلقة وأحدهم يستنكر :

ــ لماذا لا تكتب جرائد الاحزاب عندنا كما تكب فى فرنسا مثلا؟ فهى لا تقول كل شىء اذا هى تعرضت لاحدى الشخصيات الرسمية بالانتقاد الهازىء ، ولا تعطى خريطة مفصلة عن ممتلكاته واخطائه وبدئه وحاضره المادى ••

وارتفعت الاعين نحو استفهامه• كان شابا ذو طراوة وذو غياب أيضا • والشباب والغياب حكمان ضده • وأجابه عبد الله بادانة :

ــ أغابت عنك الرقابة والمحاكمات والحجز المتكرر والتوقيف الذى تتعرض له الصحافة عندنا ؟ !!

ــ ولكننى لا أفهم، الصحافة ان كانت موجودة وتقول عادة كل شىء فيجب أن تتحمل مسؤولياتها • وتكشرت أسنان مجيب آخر :

ــ انك ابن أبيك •• ابن طبقة تعيش فى غفلة عن غير مصالحها،

حتى اذا ما حاورت تكلمت بلسان أمس الامس •

فدهشت نظرته ، وعالجه عبد الله بتوضيح :

ــ الحرية يا أخى : حرية التفكير والتعبير هل تتوفر لديها حتى ترضيك ؟ !

فوجدها فرصة للغضب :

ــ ولتصمت اذن •

ــ لا ، بل انها فى المعركة تتعرض لكل التعسفات وتواصل ، وتلك فضيلها ، انما ينقصها أو بعضها بالاخص ، الخط الايديولوجى الواضح والمتكامل لبناء مجتمع اشتراكى •

فزعق الآخر ، ابن رئيس محكمة فى الصفة الاخرى :

ــ هذه كلمات ضخمة، نحن لا ينقصنا سوى الامتثال والعمل•

فصاح المضيف ، صاحب المزرعة فيه باحتجاج :

ــ آراؤك أنت غير ملائمة ، وهذا غير غريب منك •

فانكمش على نفسه ، بينما صاحب المزرعة لم ينكمش : بل اننى شخصيا أستطيع أن أتخلى فى نظام اشتراكى عن كل ما أملك، شريطة محافظة النظام لى على اللقمة الشريفة •

فتحلقت الانظار حوله ، ان هذا الشعب ينضج ولو بالسمع ، فكيف لو تهيأت له قيادة بتنظير، فمع أنه كل حياته كان يكافح كفاحا

نظيفا من أجل وضع مادى ، الا انه يضيف : حتى أبنائى يجب أن يكافحوا وحدهم للكسب وفق الشروط الموضوعة بعدل ، للجميع •

وتساءل أحدهم بسرية : ترى ألا تكون هذه مجرد فورة ؟ ! •
غير أن الاراء الاخرى صمتت أمام هذه الطفرة الصريحـــة ، لكـــن القابلية هاته تضيع فى الغذاء الدسم ، ومع ذلك تبقى صورة وموقف: لكـــن التحقيـــق أيـــن ؟ •

فى الساحة وداخل الجدران وخارج المائدة :

سار نحو باب المكتب وعاد ، السور ينتظره ، لكن هذا الطقس يعد الكثيرين حتما ، لكنه هو لا زال ينتظر • ثم وقف عنـــد بـــاب المكتب واستأذن :

ــ أريد مقابلة السيدة المديرة ؟

ــ عندهـــا زائـــر

أشعت الرأس هو نفسه • كانت الادانـــة تشملهما داخـــل الجدران • والصمت أحيانا هو اللغة وهو تجاوز لها أيضا • وهذه اللوعة هل يكفى الاخلاص لها ؟ ! ولكن الرفض يشمل الموجود، انما الاختيار والعجز يسيطران مع ذلك • وفى النافـــذة رأت أســـلاك الهاتف تتحرك• ا الحركة مجانيةفىهذه المدينة وكل مدينة مشابهة• لكن الامل فى الحركة الاصل يموت • وخطوة بـــواب المؤسســـة متباطئة تبحث عن عقب سيجارة رماها أستاذ أجنبى • واستفسرت :

ــ لم أقرأ روايتك الاخيرة •

ــ لم آتك بنسخة الا لانها لن تعجبك ، فهى مفضوحة كثيرا •

ووجدتها فى نفس اندفاعها المجانى :

ــ أليست هناك من مواضيع للكتابة غير الجنس ، غير التجربة الــذاتيـــة ؟ !

وكان كعهده مرتاحا لنفسه ، نافضا عنهــا كثيرا من هاتـــه الالحاحات المنغصة • هو على علم بها ، ولكنه لا يتركها تعلق به • فله هموم موظف صغير : الكراء والغداء والكتاب والكأس !!

وتحركت رجلاه ، مالت احداهما فى تؤدة تخفى نفاذ صبر • ومع ذلك كان حارس الباب يعيش الجنس ولا يكتب عنه ، لانـــه يعانـــى انسحاق الانسان الغـــير الموجود : انتظار قدر شهـــرى هو أجرة يوم للمدرس الاجنبى الذى يبحث عن عقب سيجارته ، وتخلص مما فى حركة رجليه •

ــ لماذا لا تعودين أنت للكتابة ، ففى آية حالة يجب أن تعودى •

ــ وأيـــن الاقتنـــاع •

الجنس موضة للاقلام • وحتى قلم ابن هذه الفجائع داخل هذا التيار • وأنت أيها القطعة فى السور الميت من يكتب عنك أو يدافع • وحتى هى ترتعش وتغلى بين قدرة وعجز ، حضور وغياب ، بين اللاجدوى والبحث عن الاقتناع ، بين العنف كوسيلة وبين الطاقـــة

كشىء محـــدود ٠

وجلس على السور الذى قتل فيه الكثير ٠ وخـــرج صاحـــب المزرعة يرمى بصره على حدود المزرعة التى اقترح بأنه ســـوف يتنازل عنها ٠ وكان الضباب فى سماء المزرعة وفكر صاحبها وفوق المؤسسة وعلى رأس الحارس ٠ وتمتم : ستجيبنى من جديـــد : « اننى أنتظر حوالتك » ولكن بطنى هل يستطيع أن ينتظر ، بودى لو سألتها : هل يستطيع بطنك أنت أن ينتظر ؟ بطنهـــا وبطنـــه لا يتوازيان، يحتاج الى اللقمة وتحتاج هى وصاحب المزرعة والحارس أيضا الى البدء٠ لكن الا تكون اللقمة هى ما يغذى الغضب فى بعض المسالمين ٠ وخرجت تودعه الى باب المكتب: وكان الضباب لا زال يعـــم ٠

سقوط الانتظار

المساحة المربعة لا تعرف التناسق الا فى الاشيـــاء الكبيرة ٠
والخزانة لا زالت متربعة فى الركن الشمالى ، ورفوف الكتب تحاديها بلا مودة ، والارائك متقابلة بشكل منحرف ٠

وضعت سلة الاوراق الموقعة على حافة المكتب وانتظرت ٠ كان الطقس يرهص بمقدمات مطر منتظر ٠ سحبت آحد المراجع وتصفحت بعض الاوراق بلا تركيز ، وفى القريب كان الموضوع الكبير الذى سكن فيها ، بأحد الجرائد (الشرق الاوسط هو نفسه) حملت الجريدة ثم وضعتها ٠ الشرق غرب والغرب شرق ونحـــن سواء ٠ وبسرعة تذكرت حلمها بأن تصبح بطلة ، ان تغير جزءا من هذا الواقع الكبير المسيطر ٠ لم يكن الحلم من أجلها ولكن :

ـــ أريد أن أمنح نفسى من أجل كل جائع ومضطهد وبائس ٠٠ من أجل كل تغيير ٠

هكذا كانت قد أجابت أستاذها وهو يستنكر احراقها لنفسها دون تبرير كما تصور ٠ ولكنه لم يكن قد بلغ حالات تغيرها ، سواء

حينما كانت تنفذ عبر وجدانها الداخلى الى عزلة مصعدة لا يستطيع أى آخر أن يشاركها ثورتها ولا قسوتها أو أبعادها ، حيث يتخذ فيه صوتها الباحث عن الحقيقة والخط والمعرفة عمقا قصيا مدويا ، أو حينما وجهت بحثها أفقيا نحو نثانة العالم والناس والواقع فنجت من جنون هروب المعرفة وغموضها الى هذا الحب الكبير .

تناولت أحد الملفات وسجلت فيه ملاحظات مطلوبة وتركته مفتوحا . كان يعنى بانفتاحه ذاك وانبساطه على المكتب حضورا معينا : قضية صغيرة وكفى ، وكان هذا العون الانسانى الصغير ضمن كل عون صغير آخر ، والذى كان يملا ساعات العمل ، قد وضعته فى الميزان ، ماذا يعنى؟ من قبل أجابت أحد رؤسائها : (لقد أصبحت أخدم الانسان بشكل مباشر) ولكن ذلك اليقين المهزوز سرعان ما خانها .

الرعد فى السماء وفى الشرق الاوسط وما بال الغرب لا يتحرك ؛ رمت الملف بنظرة غير قانعة ووقفت ، كانت أشجار السرو تقف دون سند . وفى الطريق القريبة تسير عربة محملة بأمتعة فقيرة . وفى البعيد تلوح تلميذات مؤسسة تعليمية تخرج كثيرا من المطرودات والضاربات على الآلة الكاتبة وأصناف العاهرات . الحقد فى الرأس والقلب والمدينة والاوضاع وكيف الخلاص ؟ الوظيف رتابة والمدينة جحر جراثيم والآخرون فى هذا المعمور قد انطلقوا ولكن العربة لا زالت تزحف . فتحت زجاج النافذة وتركت البرد يكتسح الدماغ والتلف والسكون العكر . بودها لو كان البرد

الآن ، هو دفاعها الخـاص ضـد غليانهـا ، اذن لكـانت قـد تقعـرت فى الاريكة أمـام المكتـب والمـذكـرات والشكليـات وكثير من الكلام الفارغ ، واكن الابتهاج أين هو ؟ بالامس ، وهى تضحك فى عشاء ساهر مع مجموعة• كانت تفقد صلتها بالجلسـة والضحكة والمجموعة وكان الميزان يتأرجح: جماعة شابة بامكانها أن تصنع شيئا، تغييرا صغيرا على الاقل كما كانت هى قد فعلت من قبل، حينما ساهمت فى خلق تلك المجموعة الثائرة، والخائبة أيضا، ولكن •• قال أحدهم للدفاع عن فراغه وعما كان يسليـه : الاقتـراب منك يخيف •• فانت تقتلين كل فرحة غير حقيقية ، ومـا أقل الفـرح الحقيقى فى هـذا العالـم •

كانت تفهم قصده : انه يستعين على دقات الزمن بمغامـرات صغيرة ، يبرمجها ضمن تنسيقات يومية أو أسبوعية ، ليستطيع بها أن يقتل مله • ولذلك فهو يتكلم بأسلوب من لم يسمع من المـرأة الا ما يدغدغه لا ما يقلقه أو ينغصه ، كهذا المجتمع الذى تعـود أن يفرض حصانته على الانثى التى يجب أن تنفذ فحسب • وبذلك كان ينصحها : أن تنجز سلوات العموم فى هاته المدينة ، فتركب نزوات الشخص فيها وتوزعها عبر علب الليل والسهرات الحمراء وتقبـل كل تودد خانع أو مغازلة مفضوحة • ولكن ، هل تقول له ان هـذا التوجيه يشعرها بجسدها فى غضب ، وانها أنثى بكبرياء خاصة •• كبرياء لا تقنع الا بما قد تحققه ، وانها كانت من قبل فى حاجة الى ان تكتب وتحلم وتبحث وتتكلم ، اما الآن فهى فى حاجـة الى ان

تعمل ، ولكنه نظر اليها دون أى هاجس من حنان ، فعرفت انه لا يغفر لها نظافتها ، بل هو قد أصبح يقيم حياتها بسبب السخط المنزلى العادى الذى طرأ عليها ، دون أن يدرك ان ذلك هو نتاج الشعور بالوحدة وعدم التوافق وسط الاشياء والجديد والجماعات الشبيهة فى الاغلب بجماعاته ، ولكنها لم تتكلم ، حيث غص حلقها بالشهقات الصامتة نتيجة انسجامها مع المها الخاص الناتج عن شعورها بأن الوقت الذى يمر هو فى غير صالح الاختيار .

أخذت تذرع خلوة المكتب الغائمة ذهابا وايابا ، وكانت السماء بغيومها الدكناء تتحرك ببطء ، فوعدها لم يتحقق بعد ، وكان ذلك الذهول القاسى لا يرحمها كلما واجهت وبدقة ، ضرورة الحسم، لكى تنتقل من الفكرة الى المباشرة . هربت منه فى حركة انتصاب أمام النافذة ، وكان عمقها الشاسع الداخلى يناديها ، ولكن ذلك لا يحقق أى معنى ، هذا المعنى الذى لم تعد تجده سوى فى الطلقة .. فى التدمير .. فى الهدم الكبير .

وتقلص جسمها بعد رعدة قارصة ولكن المخرج أين هو ؟ ظلت قبضتها تتشنج على قضبان النافذة كأنها تسحق كل عفونة وتوقف واضطهاد وحواجز ، وأخذت تلهث تحت عبء لم يترك الذات تتحقق بعد ، وحينما دق الباب زائر كان الرعد يقصف كل سماء وأرض وشرق وغرب وحاجز ، فشدت يديها كلتيهما بعزم وحشى وأجابت .....

الوحل والنقيض

1) الـــوجـــه الاول :

الشوق يحاصره كما يدعى وهو يوجهه نحو هدف • يجب أن يبلغه ليحقق اقتناعا شخصيا ، فلعل ذلك يؤكد له جانبا ذاتيا معينا• ومن ثم ضحى بأشهر وسنوات من أجله • وحينما كان يفلت منه ، كما يحتمى بالدمع والعواطف : لقد كان يعرف الجانب الهش فـــى الطـــرف الآخـــر •

وكان الدرب الطويل يوزعهما عبر دروبه ، فيعطـــى لكـــل واحد منهما نصيبه من الغصة ، لكن بتفاوت طبعا • فالفقد (فقـــد السند) الذى تكالب على المجدى والخالد والايجابى دفعها لان تفكر فى البديل • وكان يا ما كان فى حاضر الازمان ما ستفضحه الاحداث والليالى والايجابيون والخصيـــان •

1) الـــوجـــه الثـــانـــى :

القهقهات تطول وسط زعيق الموسيقى وكـــانت تلك هـــى

المناسبة • كان الحاضرون يظهرون رضاهم عن فرحتها التى تعتقدها هى تواطؤا • فشيء ما فيها يجب أن يموت ليمكن أن تحقق لهم هذا التجانس • ولكن الضحك سواء ضد أو مع يعتبر احتياجا فى بعض الاوقات • أما حاجتها واحتياجها هى فهما خارج الجلسة وآلات الطرب وعربدة الآخر ورضى الراضين • التفتت نحو نداء المهدى المساد وأجابته ، لقد كان الانتقام هو الاساس • فليلة (سقوط الصمت) فى ماخور كل أسبوع لن تمر دون ثمن • ولكن كم من الليالى يجب أن يؤدى عليها ؟ ! • لا • الرخص ترفضه ولن تعيشه أبدا • ولكن ثمن الصمت الساقط يجب أن يدفع • تركت له يده ورفعت الكأس فولولت القاعة بانتصار سحفته فى حينه • هؤلاء ، وهو نفسه ، الحاضر الآن ، يجب أن يفهم ، فهى ضد أى رضى خانع أو ابتهاج بسيط • واكتست الوجوه بخيبة غير ناضجة• فحرك ذلك فيها قول زرادشت برفض (اذا أكلت فأطعم الكلاب وان أغراها ذلك بعضك) • ولكن لا • يجب أن يكون هناك الانسان وهنالك الاحترام والا فالنكبة تتكرر : أن يحل الكأس مكان الاله والانسان والقضية •

وتركت الجلسة والمهدى •••

2) الوجه الاول :

انفتح الباب الاول والثانى بتمهل محتاط • وكان هذا الليل ، ككل ليل ، قد أكل نصفيه • أما أرجله فقد تركت حذاءها احتياطا أكثر • ولكن أرق الاحتقار يسيطر فى كل المكان • وحينما أطل

سمع (أهلا بالبطل) وعمت البسمة أرجاء الوجه والمسافة الفاصلة بينهما وخرجت تسرح عبر كل امتداد كان مملوءا بحلم اعتقدت أنه سينفذ عبر رحلة معطاء . ولكن السكر يكون قد سد منافذ الوعى فيه وعوضها بنظرة هلعة واحتياط رخيص . لو أنه بلا أوراق ولا كتب ولا ارتماءات علــى أفكــار وجهــود الغير ، لــربتت علــى كتفيه بتجاوز ناضج وقالت : لن يستطيع أن يرحل أبعد ، فتلك حدوده . ولكن ... (أين تأخرت ؟) لا لا . فكل مناقشة سابقة وادانة واعتراف وندم وتوبة وتعهد ليس من شأنه . لقد كــان ذلك قيدا قد أتقن صنعه وكفى . وسيطر الصمت المثقل بما هــو أفظع من الادانة وأصبح الحوار مستحيلا ، لانه لا يقوم عادة الا بين حضورين، أما وهو قد التحق كلية بحقيقته : قال لاحداهن : (أريد أن أتمتع بشبابى). الشباب ضد التغيير وخدمته وتنفيذه عند بعضهم. وهذا الزيف السام المغلف عندهم بهلوسات كلامية تقتل التغيير والحركة والتطور . ونظرت الى المصباح فى هذا الظلام ولم تأبه لحركة على المسرحية مع ملابسه . وفكرت : ان الادانة السلبية لمن يرهــن نهاره وليله للكأس والضغينة العاجزة وهاتــه الليالى لا تصنــع التغيير . وكان النور فى الغرفة وخارجها يحمل فى ذاته القدرة على البقاء . وكل شىء يحتاج الى التنفيذ أولا . رمت الغطاء وفتحت النافذة : كان الفجر قد بدأ .

2) الــوجــه الثــانــى :

ـــ اعتذر عن تلك السهرة .

الوجه حاضر والحمرة تحتله وهذا الاعتذار ماذا يقول؟ الاصابع أخذت اللفافة ولم تستطع أن تتم ، لقد كان الارتعاش بالمرصاد . وحينما أندت له عملية الاشعال امتص اللفافة بنهم واستطـــاع أن يركز بصره . البصر مركز والدوخة فيه وذلك الصوت السابــق ، صوته ، يرن من مدة : لقد حددت اختياراتى ، قد تكون أوروبــا ونوع دراستى هما السبب، انه العمل، عشقته وتركت كل الزوائد.

العمل هدفه وهدف البعض الآخر قتله وهذا الجيل ماله يتمزق ! وكان قد أضاف : نزواتى ، ولكنى أمتلكها ، هـــى ضرورة بيولوجية وكفـــى (اما الآخر فقد استعبدته فـــى عصـــر يعوم فى القهـــر والدموع) وكانت تحترمه : خطه واضح ، يضع اختياراته وفق حتمية اجتماعية وتاريخية لمنطقة معينة. ولذلك فكلما التقت ببسمته أو حركته أو صوته ، أتت المخيلة بصورة ذلك الانسان المسرع فى شوارع موسكو ولينينغراد وبراغ ومن ثمة ينبع بعض الامل: فبهذا وبغيره ، ليس هذا الجيل فحسب، جيل مرتزقة الافكار التى صنعها المناضلـــون أفعـــالا .

التفتت نحو تغيره وتساءلت : أين اختياره الاساسى ؟ ولكن جلسته والارتعاش وهذيانه الطارىء يطرح ما هو جديـــد . فتلك الليلة التى ولدت ما ولدت ، لم تكن غير ثمن كان يجب أن تأخذه من الآخر، من نفس بضاعة ذلك الاخر . أما هو فقد كانت تطمئن اليه وعليه ، فهو باختياراته ، لكنه الآن ماله ؟ ! .

ــ اسمعى ، لا بد أننى كنت مخطئا فى يقينى . فاختياراتى قد

أصبح لها الآن ما يكملها ، يجب أن تنهى ذلك •

وكيف أفهم وبين يوم وليلة يطرأ الجديد ؛ • ان مغامرة كهاته قد ضخمتها عندى التجربة والفشل • وأنا الآن خـارج حـدود اللعبة ويجب على أن أكون من أنا كما لم أكن • وأضاف :

ــ لم أكن اعترف بهذا الواقع الا لعدم التتائى بالطرف الآخر، لقد كانت الانثى لا تستطيع أن تحضر الا للكـأس والجنس ثـم تختفى ، وكان ذلك لا يقنعنى بالرحلة اليها •

الـنـهـايـة :

وهل ذلك يكفى ؟!•• هل رحلتك هى ما تنقصنـا جميعـا وتنقصنى؟ أغلبهم يقولون ذلك : يجب أن تصنع الانثى فى نفسها ومن نفسها الواقعى والخيالى لتستحق لقاء رجل ؛ • ان معاييـر وعادات وأفكار زمان هى ما تملى ذلك بطريقة من الطرق وهى ما يجب أن يزول • وان ذلك جزء من قضية والقضية الاساسية أين هى ؟ أفى عهر على أو قلب المهدى أو خارجهما معا ؟ الرحلة بالقلب سند ولكن ذلك لا يكفى •• القلب والعقل واليد والقضية هى مـا يحرك المسيرة •• وأين أنت •• يا أنا •• يا نحن •• يا محركوها ؟• وأجابتـه :

ــ ولكننى مدعوة الى ميدان آخر ••••

ــ لنفعل ذلك حتى نهلك ونصاب بمرض الاعصاب ؟

ــ اطفىء الانـوار

ـ هــل من الآن ؟
ـ نعم : آه ، انك تذغدغنــي
ـ ألا تحبيــن ذلك ؟ •

ولم يصمت هو كما صمتت الاسطوانة أخيرا • الصمت صمت الواقع وصمت مشاركتهفيه • والصخب فى لعلعة الحس وهو غائب عن الحاضر وعن نظرات التقييم من الآخرين وكان يردد :

ـ هل تحبين ذلك ؟
ـ هــل •••••••

وكان لا بد لهاته الحركة من حد • وقف صاحب المقهى وأوقف المشهد • فتحقق بعض الوعى فى رأسه • وكان ذلك كفيلا بسيطرة عتمة : هذا الشعور الاسود اتجاه فشل محاولة التحليق الى مستوى المشاركة ثم السقوط • وسارت قدماه بعزيمة رخوة كان يشحن بها ركبتيه • الفرار أولا • فالصوت وعالمه قد جرداه من الصــدق فى محاولة الوصول الى المشاركة • وصديقه وأصدقاؤه لم يكــن اللحن يسكنهم فعالمهم صارخ الوضوح واضح الطلب • وهم فوق مستوى اللحن ، الكأس ، الشبق ، الحيرة ، وعدم التوافق • وفــى الطريق كان يسرع هربا من كل ما يسجنه وما لم يتخطه بعد • وكان هروبه يطول • فرجلاه تهتزان دون أن تقفا على السطح بوثوق • وكانت الدوخة تجعل كل الابنية والاعمدة والسائرين فى اهتزاز • الاهتزاز فى الواقع المرفوض والــذهن الضبابــى والارادة دون تطبيق • وعند باب البيت جمد •

فهرس

	صفحة
الورق المقوى	3
الليل والنهار	13
السلب والحتمية	23
لا، لا يا سيد السادات	31
نهاية موكب	41
فى اليقظة فى الحلم	49
المنفى	57
البدء والتتمة	67
الحاضر والمنتظر	75
سقوط الانتظار	87
الوحل والنقيض	93
فهرس	101

تـــم طبـــع هذا الكتاب

بمطابع دار النشر المغربية

يوم الجمعة 10 يناير 1975

50ر7 درهم

736
98s
Bibliotheca Alexandrina
04973395